الجزء السابع والثامن ٢٤٩ و ٢٥٠ المجلد الحادي والعشرون

مجلة
المجمع العلمي العربي

تموز وآب سنة ١٩٤٦ شعبان ورمضان سنة ١٣٦٥

العلامة المراغي شيخ الأزهر [(١)]

لم تنبغ أمة من الرجال في العلم والآداب بقدر ما نبغ من العرب ومن دخل في جملتهم من الأجناس والعناصر . حقيقة اعترف بها من تجردوا من الغرض في درس تاريخنا من الافرنج . بيد ان من كان لهم طابع خاص وأثروا تأثيراً لم يؤثره غيرهم كانوا قلائل في كل جيل ولا سيما في القرون الأربعة الأخيرة . فلو فرضنا ان من استحقوا ان تدون سيرتهم في هذه الملة لا يقلون عن مئة الف لا يتجاوز النوابغ الممتازون منهم المئات ظهروا خلال عمر هذه الأمة الطويل وخدموا بأبحاثهم وتآليفهم ودروسهم ومواعظهم .

وقد وضع العلامة ريبرا من علماء المشرقيات من الاسبان جزازات في تراجم ثلاثين الف عالم وأديب أخرجتهم الأندلس من رجال العرب في ثمانية قرون . وليسوا كلهم بالطبع من عيار ابن رشد وابن باجة وابن حزم وابن زهر وابن الخطيب وابن خلدون كما ان من ظهروا في الشرق ليسوا كلهم من طبقة الرازي وابن سينا والفارابي والبيروني وأبي حنيفة والجاحظ والنظّام والخليل وابن المقفع وابن تيمية .

(١) ألقيت أولاً في ردهة المجمع العلمي العربي .

ظهر في الاسلام ألوف من المحدثين والطبقة المختارة منهم عشرون أو ثلاثون وظهر عشرات الألوف من الفقهاء واهل الطابع الخاص منهم الممتازون بإبداعهم ليسوا كثرة ، وخرج مئات من الحكماء ، والمشهورون منهم لا يعدُون العشرات . ان الدساتير يحفظها اكثر من يعانون أعمال العقل والعبرة بما يتم على أيديهم وبما يحملون الى امتهم من جديد يجدي عليهم .

كان العلم في العصور الماضية يصدر عن العواصم الكبرى يُهرع اليها ارباب الكفايات لما يجدونه فيها من استعداد لسماع اقوالهم والانتفاع بمواهبهم . وكانت المدن الذاهبة بهذا الفضل باديء بدء البصرة والكوفة والمدينة ودمشق وبغداد والفسطاط والري وشيراز واصفهان ونيسابور ثم النجف والموصل وصنعاء وصعدة وفاس والقيروان وتونس (افريقية) والقاهرة . ولما تحيف الخراب معظم هذه العواصم وانحطت في مدنيتها بقيت القاهرة وتونس وفاس والنجف تخرج علماء للأمة فعدت لذلك مراكز العلم . وكان الجامع الأزهر اشهرها واعظمها لتوسط مصر بين مدن الاسلام في إفريقية وآسيا ولأن اهل الخير من سكانها وقفوا على هذا الجامع من الاحباس ما يضمن الانتفاع به على الدهر ، ولأن مصر كانت في الاسلام دولة برأسها أو شبه دولة ممتعة بحكم ذاتي « والعلم مذ كان محتاج الى العَلَم » .

وظلّ الأزهر يخرج رجال الدين منذ اقام صلاح الدين يوسف بن أيوب دولة السنة وقضى في مصر على دولة الشيعة الفاطمية . وكان اصحاب الفضل الواسع المتخرجون في تلك الدار أقلّ من القليل والمتوسطون كثرة على ما هم في كل زمان ومكان . والمتوسط في العادة ينسى والمبرز هو الذي يفاخر به تاريخ الامة ، ولا تبرح الألسن تردد ذكراه ، والصحف تنقل آراءه وأخباره ، والناس يستفيدون من كلامه ما انعقدت للعربية سوق وأقيمت شعائر الاسلام في ارض .

وممن نبغ في مصر من المتأخرين شيخ الأزهر العلامة الشيخ محمد مصطفى المراغي . اشتهر لا لأنه تولى اعظم منصب في الاسلام ، فقد يتولى المتوسطون

بعلمهم أسمى الرتب وهم لا يَعدُون حفظ ما جرت العادة بحفظه ولا تمثلوا ما قرأوه ٠ اشتهر لأنه كان حرياً بالشهرة جمع الى الفقه والأُصول ما تعوز العالم معرفته من أصناف العلم فما أتقن علوم الدين وقال : قَطْني، بل تعلقت همته بمطالب أُخرى فشارك مشاركة لا بأس بها في المعارف التي كان رجال الأزهر ينفرون منها ٠ وهذا من النادر في العلماء المعاصرين ، ونعني بالعلماء هنا علماء الدين ٠ وكان العلم اذا أُطلق يراد به علم الكتاب والسنة فقط ٠ والقاعدة عند من انصرفوا الى هذا الضرب من العلم ان صاحبه لا يشغل قلبه بغيره من اصناف المعرفة التي كانت في القديم العامل الأُول في تميز العرب على من عاصروهم من الأُمم وهي في العهد الحديث من أعظم الأُسباب في قيام الحضارة الغربية ٠

ومن أهم ما ساعد المراغي على تفوقه على أقرانه ان امتاز بذاكرة قوية يذكر ما مرَّ بهِ من خمسين سنة لا يخرم منه معنى وقد جمع الى ذكائه الفطري استقلال الفكر وحب الاطلاع فما سد أذنيه وعينيه عن سماع الجديد والنظر فيه ، وكان على مثل اليقين ان مجد الاسلام لن يكتب له الظهور ان لم يقرن بالعلم الجديد ٠ استظهر القرآن وتدبره تدبراً قل ان كان في الفقهاء المتأخرين من داناه فيه ، وحفظ وهو في القضاء بضعة دواوين لشعراء معروفين من اهل الجاهلية والاسلام ٠

وحظه الحظ فتخلص من القيود التي وضعها اهل كل مذهب وقضوا ان تؤخذ اقوال صاحبه قضايا مقررة يحظر على العقل ان يجول فيها ، فهو مجتهد استوفى كل شروط الاجتهـاد ومجتهد ممتاز بمشاورة العقل ٠ نعم عزم الشيخ منذ تمت أدوات ثقافته ان يستقي من ينابيع الشريعة الصافية ولم يُغفِل ما تعب أهل المذاهب الجماعية به من الآراء والأحكام ، وما تشدد فيما رخص به الشرع او أقرته المذاهب الأُخرى ، ودعا للعمل بجوهر الدين من دون ما تزمت ولا تضييق ، وحرص على ان يبعده عما لا يتفق مع منازع التجدد ٠

فصديقنا المراغي خلق عالماً امتاز بمرونته وما كان فيه جمود من أحملتهم التقية وما اتسعت صدورهم الا لما رووه عن مشايخهم او وقفوا عند حد ما قرأوه في

الكتب وما عبأوا بسواه ، نظر وهو في سن الطلب في علوم لم تدخل برنامج الأزهر وشعر بفساد طريقة المشايخ في تدريسهم ، وشارك في الشكوى من الشروح والحواشي والهوامش ، ولطالما كانت تربك ذهن الطالب وتقصيه عن معرفة اللغة وعن روح الشريعة فيخرج كالببغاء يحفظ ما يلقنه دون ان يفهم معناه . وكان بقدر ما يعنى بالأخذ عن شيوخه يعتمد على درسه الخاص وبقدر ما كان يدأب على تحصيل دروس الأزهر يسمو به الشوق الى الاطلاع على ما في علوم الغربيين من متاع للروح والعقل ، وقد قيل لي انه تعلم اللغة الانكليزية أيام كان في السودان قاضياً واصبح يفهم الكتب العلمية فيها وانه قرأ ترجمة مير علي للقرآن باللغة الانكليزية وكان يصحح ما وقع من غلط في الترجمة الانكليزية . نعم لم يقيد الشيخ نفسه باعتبارات الأزهريين كثيراً شأن بعض النوابغ يشذون أحياناً عن مصطلح قومهم ويكون الخير في هذا الشذوذ .

استطال الشيخ اعوام الدراسة على ما يظهر وهمته تحفزه الى الاسراع بالخروج الى ميدان العمل ، فتقدم لامتحان العالمية وجاز السنتين الأخيرتين في سنة واحدة كما قال لي عن نفسه معتقداً انه ما دام قد تعلم ما يطلب منه معرفته فالواجب ان يُقدِم ولا يضيع وقته في الانتظار . وبهذا أثبت ان الطالب قد يتعلم في بيته اكثر مما يتعلم من حضور الدروس في أوقات مخصوصة على معلمين بعينهم . اما هو فقد جمع بين الفضيلتين ما زهد في التلقي ولا اقتصر عليه ، وروى العارفون انه حضر على المشايخ قراءة الكتب المطولة المعروفة عند الأزهريين إلا انه ما أتمّ قراءة كتاب منها ذلك انه كان يرى ان من العبث صرف الوقت في حل معميات هذه الأسفار .

دخل الأستاذ في الحياة العملية في سن مبكرة فتولى القضاء قبل أن ينتصف العقد الثالث من عمره وابان عن مقدرة على معاناته وظهر انه عارف بسياسة العلم وسياسة الخلق ، فكأن والده وهو رجل شرع مثله أورثه خير صفات من يعدلون بين الناس ، وكانت داره في الصعيد الأعلى مفتحة الأبواب لحل مشاكل قومه

وفض خصوماتهم . وقد اخذ القاضي الشاب من بيته من الأخلاق عدلَ ما تعلمه في الأزهر من علم، فسعد ابوه به وباخوته وهم بضعة علماء وقضاة على رأسهم ابنه الأكبر شيخ الأزهر الذي تولى هذه الرياسة العظيمة في حياة أبيه . اما بنوه هو فقد ربوا تربية مدنية ليس فيهم من لاث العمامة على رأسه .

أصبح المراغي شيخاً للأزهر في الثامنة والأربعين من عمره، وندر من تولى هذه المشيخة وهو في هذه السن فأتى بنشاط الشباب وحنكة الشيوخ فاهتم الاهتمام كله لاصلاح الأزهر الذي كان واضع أساس الاصلاح فيه شيخه وشيخنا الأستاذ الامام محمد عبده . ولما شعر بأن لائحته في اصلاح الأزهر لن تقبل استقال ولزم بيته محتفظاً باستقلال فكره وعزة نفسه، وخلفه في الرياسة الشيخ الظواهري وكان أشبه بشيخ زاوية منه بشيخ علماء وانحصر عمله في الاصلاح بطرد سبعين عالماً من خيار علماء الأزهر . وعاد الشيخ المراغي الى الأزهر ثانية بعد ما تركه الشيخ الظواهري بإهانة لم يهن مثلها شيخ قبله، يشمر عن ساعد الجد في اصلاحه وأتمّ وضع اساس كليات التخصص ككلية علوم اللغة العربية وكلية أصول الدين وكلية العلوم الشرعية . وكان يعتقد ان الأزهر يحتضر منذ طلبت وزارة الأوقاف وهو من مفتشيها خطباً منبرية فجاءها خمسمائة خطبة لم تصلح واحدة منها لأن تلقى على المصلين، يعتقد ذلك وهو يرى ان دار العلوم تنازع الأزهر افضليته في تعليم العربية ومدرسة القضاء الشرعي الملغاة تنازعه بتدريس الشريعة . وبإصلاح المناهج قضى الأزهر الحديث على فوضى التدريس فيه، وبالرجوع عن البرامج العتيقة صُبغ الأزهر بما يلائم الزمن، ويقرّب الأزهري من الحياة العملية، وصارت دروسه القديمة بمثابة دروس ثانوية تهيّء الطالب للتخصص وهذا بمثابة الدراسات العالية او التعلم العالي .

تم له كل هذا بعد ان صرح في مذكرته الاصلاحية : واني اقرر مع الأسف ان كل الجهود التي بذلت لاصلاح المعاهد منذ عشرين سنة لم تعد بفائدة في نهضة التعليم وأقرر ان نتائج الأزهر والمعاهد تؤلم كل غيور على أمته وعلى دينه

وقد صار من المحتم لحماية الدين – لا لحماية الأزهر – ان يغير التعليم في المعاهد وان تكون الخطوة الى ذلك جريئة ويقصد بها وجه الله تعالى فلا يبالى بما تحدثه من ضجة وصراخ وقد قرنت كل الاصلاحات في العالم بمثل تلك الضجة .

والى هذا شجع الشيخ أيضاً البعثات الأزهرية . ومتى كان الأزهر يقول بأكثر العلوم الحديثة حتى يذهب نوابغ طلابه يستزيدون من العلم في جامعات الغرب (١) ؟ ومتى كان طلاب الأزهر قبل المراغي يدرسون اللغة اليابانية وغيرها ليكون منهم دعاة يدعون الى الاسلام على نحو ما يدعو المبشرون الى النصرانية ؟ وفي أي عهد قرئت الفلسفة في هذا الجامع وشرحت قضاياها بحرية كما كان في زمن المراغي ؟ الى غير ذلك من الأمور التي كان يريد بها اطلاق عقول الأزهريين من عقالها وادخالهم في طور جديد ينفع .

حاول الشيخ النهوض بالأزهر بتثقيف خريجيه ثقافة جديدة وكان يحز في قلبه تخلف اهله في علمهم وعملهم وهو القائل في وصفهم : «انهم استكانوا في القرون الأخيرة الى الراحة وظنوا ان لا مطمع لهم في الاجتهاد فأقفلوا أبوابه ورضوا بالتقليد وعكفوا على كتب لا يوجد فيها روح العلم وابتعدوا عن الناس فجهلوا الحياة وجهلهم الناس ، وجهلوا طرق التفكير الحديثة وطرق البحث الحديث وجهلوا ما جدّ في الحياة من علم وما جد فيها من مذاهب وآراء فأعرض الناس عنهم ونقموا هم على الناس ، فلم يؤدوا الواجب الديني الذي خصصوا أنفسهم له وأصبح الاسلام بلا حملة ولا دعاة بالمعنى الذي يتطلبه الدين .

في احدى جلساتنا في دار الشيخ المراغي في حلوان ايام كونه معتزلاً الأزهر – وكثيراً ما كانت تدوم الجلسة ثماني ساعات – تفضل وقرأ عليّ بعض تقاريره الدينية ومنها تقريره في الأحوال الشخصية الذي صدر القانون المصري عليه ،

(١) سبقت وزارة المعارف في عهد وزيرها العالم معالي محمد حلمي عيسى باشا الى ارسال أول بعثة أزهرية الى الغرب تألفت من أزهريين وغيرهم من طلاب الجامعة ودار العلوم كتب فيها التفوق لطلاب الأزهر أولاً وآخراً .

وهو التقرير الذي لم يتقيد فيه بالمذاهب الأربعة واخذ من اكثر المذاهب المعتمدة ، وكتبه ببيان يقلّ نظيره في الكتابات الرسمية ، فرجوته ان يطبع ما كتب فما رأيت منه ميلاً الى النشر ، وكان عمله في هذا الباب لا يقل نفعاً عن فتواه في الحد من الطلاق وقبله كان باب الطلاق مفتوحاً على مصراعيه . وقد حدثت في العهد الأخير حوادث في الطبقات العالية طلب اليه ابداء الرأي في الطلاق فأبى مع علمه ان امتناعه قد يغضب المستشير .

ومما دل على علو كعبه في حرية البحث فتواه في جواز ترجمة القرآن وله في هذه المسألة الشائكة بحث ممتع نشر في مجلة الأزهر . وفي هذه المجلة طائفة من تفسيره بعض سور الكتاب العزيز وبعض خطبه وآرائه وفيها فتاواه في المعضلات وهي تدور على تقريب الناس من الشرع والتوفيق بين الدين والمدنية ويبدو فيها نور العقل والتجدد .

وقد حملت اقاريره وتفاسيره من اساليب البلاغة ما يستكثر من شيخ ازهري . وفي الرسائل القليلة التي دارت بيننا نموذج من فصاحته وبلاغته . وكان يكتب بدون تكلف بألفاظ عذبة رقيقة لا سجع فيها ولا ازدواج . وعبارته رشيقة موجزة تشبه عبارات المؤلفين في القرن الرابع والخامس وتغلب عليه الفاظ القرآن وتحس ان كاتبها مشبع الى الغاية بألفاظه ومعانيه . أما طلاقة لسانه فكانت كبلاغة قلمه وربما ظن السامع وهو يتلو درسه او عظته او خطبته انه يقرأ من كتاب او من حفظه لأنه يشاهده وقد نسق كل فكر الى جانب اخيه ووضع ما يروى وما يريد ان يعلق عليه في مواضعه .

كان الشيخ حنفي المذهب ويأخذ من المذاهب الأخرى ما يناسب العصر والمصلحة ، وكان في اطلاعه على المذاهب الأخرى آية وكثيراً ما قال للجنة الأحوال الشخصية عند البحث في الهبة والوصية والوقف : ضعوا من المواد ما يبدو لكم انه يوافق الزمان والمكان وانا لا يعوزني بعد ذلك ان آتيكم بنص من المذاهب الاسلامية يطابق ما وضعتم .

ومن رأيه توحيد المذاهب وقال في احدى مذكراته « يجب العمل على إزالة الفروق المذهبية او تضييق شقة الخلاف بينها فان الأمة في محنة من هذا التفرق ومن العصبية لهذه الفرق » . « ومعروف لدى العلماء ان الرجوع الى اسباب الخلاف ودراستها دراسة بعيدة عن التعصب المذهبي يهدي الى الحق في اكثر الأوقات وان بعض هذه المذاهب والآراء قد احدثتها السياسة في القرون الماضية لمناصرتها ونشطت اهلها وخلفت فيهم تعصباً يساير التعصب السياسي ، ثم انقرضت تلك المذاهب السياسية وبقيت تلك الآراء الدينية لا ترتكز الا على ما يصوغه الخيال وما افتراه اهلها . وهذه المذاهب فرقت الأمة التي وحدهــا القرآن الكريم وجعلتها شيعاً في الأصول والفروع ، ونتج عن ذلك التفرق حقد وبغضاء يلبسان ثوب الدين ، ونتج عنه سخف مثل ما يقال في فروع الفقه ان ولد الشافعي كفء لبنت الحنفي ومثل ما يرى في المساجد من تعدد صلاة الجماعة وما يسمع اليوم من الخلاف العنيف في التوسل والوسيلة وعذبات العمائم وطول اللحى حتى ان بعض الطوائف لا يستحي اليوم من ترك مساجد جمهرة المسلمين ويسعى لانشاء مساجد خاصة » .

وقال : يجب ان يدرس الفقه الاسلامي دراسة حرة خالية من التعصب لمذهب وان تدرس قواعده مرتبطة بأصولهـا من الأدلة وان تكون الغاية من تلك الدراسة عدم المساس بالأحكام المنصوص عليها في الكتاب والسنة والأحكام المجمع عليها والنظر في الأحكام الاجتهادية يجعلها ملائمة للعصور والأمكنة والعرف وأمزجة الأمم المختلفة كما كان يفعل السلف من الفقهاء .

وقال بشأن دراسة التفسير والحديث : يجب ان يدرس القرآن دراسة جيدة وان تدرس السنة دراسة جيدة وان يُفهما على وَفْق ما تتطلبه اللغة العربية وعلى وفق قواعد العلم الصحيحة وان يبتعد في تفسيرهما عن كل ما ظهر للعلم بطلانه وعن كل ما لا يتفق مع قواعد اللغة العربية .

وصرح ان الكتب الأزهرية معقدة لها طريقة خاصة في التأليف لا يفهمها

كل من يعرف اللغة العربية وانما يفهمها من مارسها ومرن على فهمها وعرف اصطلاح مؤلفيها . وقال : كان اكثر العلماء يطرّفون الاحتمالات المتعددة في عبارات الكتب وكان هذا هو كل شيء اشتهروا به في العلم وما كان يوجد فيهم من يستطيع ان يحاضر في موضوع علمي ولا ان يلخص مسألة من المسائل بعبارة يمكن ان تفهم ، وما كانوا يعنون بالموضوعات العلمية من جهة الأدلة ومقارنة المذاهب ونقدها، بل كانوا يعنون بالألفاظ فلم تكن الدراسة شهية مثمرة .

نعم هو يرى ان الشريعة جاءت لخير البشر وما دسّه فيها بعض المتأخرين بجهلهم أو تساهلهم يجب ان ينقى منها كما ينقى الزؤان من صوبة الحنطة ، ويعتقد اعتقاداً جازماً ان الله يحب ان تؤتى رخصه كما تؤتى عزائمه . واليكم ما قاله من مقالة أخيرة (جريدة الاهرام غرة رمضان ١٣٦٣) تحت عنوان « مرحلة من الحياة تقضت » وفيها كلام جليل لا يقول مثله الا رجل اتسع أفقه وعقله واستبطن اسرار مجتمعه وكان من عيار الشيخ المراغي في العلم قال :

هناك أمور ينبغي ان يترفق الفقهاء فيها بالناس وان يراعوا قواعد اليُسر التي هي أخص صفات الاسلام ، يراعونها في العمال والمرضى ومن يخدم المرضى ومن يشابههم فيقربون الناس من الاسلام ولا يوقعونهم في الحرج . وعندي ان من يفطر بعذر ويصرح بذلك أطهر ممن يفطر من غير عذر او بعذر ويظهر أمام الناس بالتقوى يرائي الناس ولا يخشى الله . والترخص في المرض أو الترخص للمشقة في العمل يقدره أصحابها ويفتون أنفسهم فيها ، والرقيب هو الله ، والعلماء يبينون الحكم وهو اباحة الفطر للمريض ومن لا يقدر على الصوم أما تقدير القدرة فهو خاص بالعبد ولا شأن للعالم فيه . ثم استشهد بحديث من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في ان يدع طعامه وشرابه .

ما كان الشيخ ممن يرضيهم الأمر الواقع بل كان ممن يجهدون بتغيير الحاضر بما ينفع المستقبل ويدعو الى الاعتبار بالماضي . استمعوا الى هذه الصفحة البديعة ، يصف فيها العصر الذي نشأ فيه شيخه الامام محمد عبده قال وأبدع :

« نشأ الشيخ في عصر من العصور القاتمة ، كل شيء فيه ممضٌ مؤلم للنفوس الحرة والفطر الصادقة: الأمم الاسلامية تنحدر علمياً وسياسياً واجتماعياً الى احط الدركات ، وليس لطالب الحرية العقلية بينها متنفس ، والدين يفهمه الناس على غير وجهه ، واللغة العربية اختلطت بغيرها من لغات العجم ، والزلفى الى الله لها طرق لم يشرعها الله ، والزلفى الى الحكام لها طرق لا يرضاها ذو مروءة . ذهبت ريح المسلمين ونفلت من أيديهم ... أم الحياة العامة ، وتداعت عليهم الأمم كما تتداعى الأكلة على القصاع ، وليسوا قلة بين الأمم ، ولكنهم كغثاء السيل .

« ذهب يتعلم فتعلم كما يتعلم غيره قواعد جافة ليس لها حياة تصلها بمنابعها من الكتاب الكريم والسنة المطهرة . ولا بأصولها من لغة العرب وأساليبهم وأدبهم ، وتعلم القواعد في مختصرات رضيها ذلك العصر المظلم ، لا تفهم إلا بشروح وحواشٍ وصناعة خاصة ، فلا اللغة العربية بمسعدته على اجادة النظم والنثر والكتابة والخطابة وحاجة الحكومات والدول في التشريع والتنظيم ، ولا دراسة الكلام والمنطق بموصلة الى الاستدلال الصحيح الذي يطمئن اليه العقل ويقنع الخصم ، المتحدث في الاجتهاد وتخير الأحكام لتطابق الأحكام حاجة العصر ولتلائم أصول الأمم وأحوال الأزمنة مبتدع مخالف لما أجمع عليه المحققون ، والداعي الى سيرة السلف الصالح داع الى مخالفة سيرة العلماء المبرزين ، والداعي الى كتب الأولين مقصر عن فهم كتب المحققين المتأخرين ، والمنادي بأن كتب الفقه وكتب التفسير وكتب الحديث ملئت بمعلومات خاطئة . وبأوهام وقصص لفقها من قِبَلُ علماء الاسرائيليات مخالف لما درج عليه صالحو هذه الأمة وجهابذتها » قال : عاش الشيخ في هذه البيئة العلمية ضيق الصدر مرير العيش ، فمن من أصحاب الفطر الصادقة والنظر السليم ، يؤمن بالقرآن ويعتقد ان فيه هدياً وفيه شفاء ، وان شريعة محمد ﷺ عامة للأمم كلها وللعصور كلها ، يؤمن بأن هذه الدراسة الدينية والعربية تخرج للناس اماماً يهتدون بهديه ، ويشفي أمراض المجتمع في علمه وخلقه ونظامه ويضع له القوانين الصالحة والنظم اللائقة ؟

الى ان قال « عاملان من أقوى العوامل وقفا في طريق الشيخ (الشيخ محمد عبده) عامل الحسد وعامل البيئة ومن المحال ان يوجد رجل كالشيخ في صفاته وعلمه لا يحسد ، ولو انه لم يحسد ولو انه لم يرم بالكفر والضلال ، ولو انه لم يشتد حُسّاده ولم يقاوم أشد المقاومة بسبب الحسد لما كان شيئاً يتحدث عنه ولما كان رجلاً من رجال التاريخ » قال وسبب ثالث له خطره « وهو أن جهة من جهة ذات نفوذ اظهرت عدم الرضا عن الشيخ وساعدت خصومه وان جهة ذات نفوذ آخر ساعدته وشدت أزره فظن القوم انه رجل يريد افساد الدين وافساد العلم » . ومن أشد مظاهر الحسد إذ ذاك ان عالماً من كبار العلماء كتب سلسلة مقالات في جريدة المؤيد يحرم فيها تعليم الحساب والجبر والهندسة والتاريخ في الأزهر ، لأن الشيخ كان أول المبشرين بتعليم هذه العلوم في الأزهر ، وكاد العناد يكون كفراً .

قال : ترك بذور اصلاح التعليم الديني وتعليم علوم العربية وبذور اصلاح القضاء الشرعي وبذور اصلاح المجتمع الاسلامي والأمم الاسلامية وليس في رجال تفسير كتاب الله من يضارع الشيخ أو يقاربه في تطبيق آي القرآن على سنن الاجتماع ، وفي تصوير هدي القرآن وفي فهم أغراض الدين عامة .

وختم الكلام عنه بقوله ودّعته ليلة سفري الى السودان لتولي قضاء مديرية دنقلة في نوفمبر سنة ١٩٠٤ فما قال لي أنصحك ان تكون للناس مرشداً أكثر من ان تكون قاضياً واذا استطعت ان تحسم النزاع بين الناس بصلح فلا تعدل عنه الى الحكم فان الأحكام سلاح يقطع العلاقات بين الأسر ، والصلح دواء تلتئم به النفوس وتداوى به الجراح . وداعبني مرة أثر خروجي من امتحان شهادة العالمية قائلاً : هل تعرف تعريف العلم ؟ فقلت له : نعم ، وكنت أحفظ إذ ذاك أكثر تعاريف العلم ، فسردت بعضها ، فقال : اسمع مني تعريفاً مفيداً ، العلم هو ما ينفعك وينفع الناس . ثم سأل : هل انتفع الناس بعلمك ؟ قلت له : لا ، قال : إذاً انت لست بعالم فانفع الناس بعلمك لتكون عالماً .

هذا ما قاله الشيخ في شيخه وما قال الا الحق والغالب انه تقبّل نصيحته بقبول حسن وأزمع ان يكون من ذاك اليوم عالماً كما يريد امامه ينفع الناس بعلمه فجرى على هذه الخطة في القضاء ثم في مشيخة الأزهر وما انفك يدرس ويعظ ويكتب ويفسر القرآن ويدعو الى الأخذ بالكتاب والسنة ويسهل على قاصديه وسامعيه فهم الشريعة السمحة ويطبق أحكامها على العصر أو يطبق احكام العصر عليها واعترف مرة اننا لم نوجد جديداً نافعاً في علم من العلوم حتى الآن ، وما أصدق ما قاله عنه صديقي الأستاذ الشيخ محمود شلتوت من جماعة كبار العلماء ان الشيخ المراغي ما خرج بروحه وعلمه وعقله وتفكيره عن ان يكون تلميذ الأستاذ الامام محمد عبده . وقال مرة : « ولدى الأمة الاسلامية قضايا كثيرة معقدة ، قضية الرجوع بالدين الى كتاب الله وسنة رسوله وأعمال الراشدين . وقضية التعليم الديني على وجه صحيح يوافق ما أثمرته التجارب في الحياة وما أخرجته العقول من ثمرات ناضجة ، وقضية حماية الدين من العدوان والدعوة اليه كما امر الله بالحكمة ، وقضية نظام الأمم الاسلامية وارتباطها بعضها ببعض ارتباط تعاون وتناصر ، وقضية الفقراء والضعفاء واليتامى والمساكين وتدبير أمرهم بحيث تخفف عنهم آلام الحياة وينتفع المجتمع بهم .

« وهناك قضية هي أهم القضايا وهي مقومات الأمم الاسلامية التي يجب ان يحافظ عليها ويبنى المجد على أساسها وهي قضية دقيقة يثور من أجلها عن قصد أو غير قصد خلاف بين المتعلمين وغير المتعلمين والمتمدنين وغير المتمدنين ، ويترتب عليها نظام الاجتماع وقوانينه ونظام التقاليد والعادات .

ولدى الأمم الاسلامية ماض يجرر أثواب الفخر والشرف في كل ميادين الحياة : في ميدان العلم وفي ميدان الفنون وفي ميدان السلطان والعز ، وميدان التشريع والقانون ، لكن بعض الناس يحاولون طمس اعلام هذا الماضي والتخلص منه والزراية عليه والحط من شأنه ويحاولون بناء مجد جديد على أرض بيضاء بحيث لا يكون بين الحاضر والماضي صلة .

«وليس أدعى الى الدهشة ولا أبعث على اللوم من هذه المحاولات التي فيها عقوق الأبناء للآباء ونكران الجميل وانكار التاريخ وفيها لؤم الطباع وسفه الجاهل وطيش المغرور.

«وهل يستطيع عاقل ان ينكر ان لنا أسساً صحيحة قويمة من دين وعلم وتقاليد ومقومات من حقها ان نحافظ عليها وان نعتبرها تراثاً عزيزاً لا يليق ان نبدده كما يفعل الوارث السفيه.

«يحاول بعض الناس هذا مع ان الأمم التي ليس لها ماض تحاول ان تخلق لها نسباً بماض مجيد. وبعض الأفراد الذين لهم ذكر نابه بأعمالهم وليس لهم نسب معروف بالمجد يحاولون ان يخلقوا لهم أنساباً معروفة بالمجد والشرف ليحدثوا في نفوس الأبناء شعوراً بعظمة من حقها ان يحافظ عليها اه

وصف ما حمله القرآن من التعاليم ورد دعوى بعضهم ان فيه علوم الأولين والآخرين بقوله: «انه كلما حدثت في العالم فكرة طريفة اجتهدوا في تلمسها في القرآن وفرحوا ان استطاعوا الاهتداء الى اشارة بعيدة اليها، يفعلون هذا في جميع النظريات المرتبطة بالكون وأسراره وقواعد الاجتماع والسياسة ولكن من حقهم ان يفهموا ان المعارف البشرية غير مستقرة وانها تتغير ويتجدد بدلها معارف أخرى تختلف عنها أو تناقضها وانه ليس من الحكمة ان نربط هذه المعارف غير القارة بكتاب الله الثابت الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. ومن الخير ان ندع كتاب الله يقرر لنا أحكام التشريع ويهدم الوثنية ويجتثها من أصولها، ويرفع العقل البشري الى المستوى اللائق به، ويأخذ بيد الانسان الى المقام الأسمى اللائق بخلافته في الأرض، ويبين لنا العبرة والعظة بأحوال الماضين، ويغرس في نفوسنا تلك الأخلاق الفاضلة من الصبر والقناعة والرضا والشجاعة ويفتح أمامنا أبواب العلم والهداية بما أشار اليه من وجوب النظر فيما صنعه الله. خير لنا ان نفعل ذلك وندع العلماء يقررون معارفهم ويستدلون عليها، ويحملون نتيجة خطئهم اذا تغيرت معارفهم وأثبت العلم نقيضها. قال نعم ان في الكتاب الكريم آيات لا تفهم حق الفهم الا بمعارف فلكية وطبيعية،

ولكن تلك لم تُسَق لتقرر تلك المعارف وإنما نزلت للهداية والعبرة . فليس القرآن الكريم كتاب حساب وفلك وطبيعة وانما هو كتاب هداية وتنظيم لعلاقة الانسان بربه وعلاقة أفراد الناس بعضهم ببعض» .

أجمع انصار السيد المراغي وخصومه على انه كان من خير من تولى رياسة الأزهر لصفات كثيرة اجتمعت له وقلّ أن تجتمع لغيره ذلك لأنه كان يعرف ما هنا وما هنالك ، ويعد من العلماء العارفين بأزمانهم معرفة ثاقبة . طلب اليه ان يترك رئاسة الأزهر ويعطى ما شاء من الأفدنة والمال فأبى . وطلب اليه ان ينضم الى جهة معينة في الرأي (حزب معروف) ويكون له ولأولاده وذوي قرباه ما شاء من الكرامة فأبى وقال ان أولادي واخوتي في نظري أقل من أن أبيع لهم كرامتي .

كان يستميل بحديثه قلوب سامعيه وتفعل في نفوسهم نبراته اللطيفة وان كانوا ممن لا يوافقونه على آرائه كلها . تأدب بأدب الدنيا وأدب الدين اذا عاشرته تتحقق انه بلغ الغاية في التهذيب الحديث مضافاً الى ما تحلت به نفسه من فضائل الاسلام ولا تلبث ان تقول ان الشيخ يصلح لإمامة الدين كما يصلح لإمامة الدنيا اي ان يكون شيخ الاسلام يدعو الى عقيدة وايمان وان يكون رئيس وزارة يعاني من احداث الزمان ما يعاني . ولا نكون الى الغلو اذا ادعينا انه قل في امثاله من استجمعوا صفات العظمة الحقيقية . وله في باب الاريحية أشياء عرفت عنه بالعرض تدل على صفاء روحه وفضل نجدته . كان يتصدق في السر وهو ليس بغني ويأخذ العهد على من يعطيه ان يكتم ما وصل اليه منه . وحدث ان احد أصدقائه من أهل العلم هدّد بالافلاس ان لم يؤد ما استحق عليه من مال للحكومة ففتح الشيخ دواوين الأزهر ليلاً ليبتاع منه مقداراً من الكتب ويدفع له ثمنها في الحال لينقذ شرفه واعتباره .

ولقد انتخبه المجمع العلمي العربي عضواً مراسلاً فيه فاعتذر بكثرة أشغاله قائلاً انه استقال من المجمع اللغوي في مصر للسبب ذاته ، ودعوته لينزل عليّ ضيفاً في دمشق ويصطاف في ربوعنا فتعذر عليه البر بوعده لأن حالته لم تمكنه من مغادرة القطر خصوصاً بعد عودته ثانية الى مشيخة الأزهر .

أخذت الأعمال الادارية والسياسية والقضائية من وقت الشيخ الأكبر فكان شأنه شأن أستاذه الشيخ محمد عبده لم يخلف مؤلفات كبيرة يودعها لباب علمه وزبدة تحقيقه ، وما خطته يمينه دعت الى تسطيره الدواعي وقام به لأمور اقتضتها حالة عمله . وعندي ان تقاريره ومذكراته ومقالاته كافية في الحكم عليه وافية في تخليد اسمه اذا تيسر لها من يجمعها ويطبعها[1] ورب صفحة تعادل بفائدتها رسالة مطولة ، وكم من رسالة هي أيضاً انفع لقارئها من تلاوة المجلد الكبير . وقد رأينا كثيراً من مدرسينا ممن تمت لهم آلات الفضل وشغلتهم دروسهم عن التصدي للتأليف كان نصيبهم منه نصيب المراغي ، ولو وجدوا متسعاً من أوقاتهم وصرفوا فيه ساعة كل يوم لانفتحت أمامهم طرق في العلم يهديهم اليها الدؤوب وطول النظر .

على ان الشيخ لم تحل مناصبه الخطيرة دون عمل ما ينفع الاسلام والمسلمين وما كان يستهويه غير النهوض بالمصريين يتلطف ، وهو الدراكة النطامي ، في وصف الدواء الناجع لاسقامهم وما كان يغفل من معاونة كل مسلم يهبط مصر من القاصية ليرشف من معين العلم في الأزهر مع انه لم يزر بلادهم ولم يختلط كثيراً بأهلها لما اقتضته حالة عمله وقيود مناصبه .

أهم ظاهرة بارزة في أخلاق الأستاذ المراغي تجرده من المطامع التي قد يتلوث بها بعض أهل صناعته فما أتى ما يشين سمعة العالم . وعلى طول تقلبه في درجات القضاء وآخرها رياسة المحكمة الشرعية العليا ما احصيت عليه زلة تنال من مروءته وشرفه وكانت أحكامه مثال العدل يتحدث المتحدثون بها لا يصانع في الحق ولا يداجي . وفي قضية الارث الكبير الذي كان يقدر بملايين من الجنيهات وما أبداه الشيخ من المتانة في احقاق الحق مثال من تقواه ، حتى لقد قذف بماء الفضة في عنقه يوم صدور الحكم وهو في طريقه الى المحكمة في القاهرة

(١) أخبرني شقيق صاحب الترجمة الأستاذ الشيخ أحمد مصطفى المراغي وقد قرأت عليه ما كتبت واستفدت منه أموراً في حياة الأستاذ الأكبر انه خلف مذكرات يومية يشرح فيها مواقفه مع رجال السياسة من المصريين والأجانب وان أسرته لا تريد نشرها قبل ان يمضي زمن على وفاة صاحبها لأن فيها مساساً ببعض المعاصرين .

ليتعذر عليه الحضور فأصر على الذهاب واصدر حكمه . ولو كان حب الدنيا مستحكماً فيه أكثر من حب الدين لجوز لنفسه تناول ما يغنيه من المال يدفعه المدعي راضياً . ولكن شيخنا كان يحسب حساب يوم الحساب .

ولما استقال من قضاء الخرطوم وعاد الى القاهرة أخذ يتبلغ بوظيفته مفتش مساجد في الأوقاف وصلى الخديو الجمعة في مسجد من مساجدها فلاحظ على المفتش ان الامام أعمى فأجاب ان الامام وهو العلامة الدجوي من جماعة كبار العلماء استوفى شروط الامامة والعمى لا يمنعه من القيام بما يطلب منه ، فغضب عزيز مصر ، ولما عرضت عليه حكومة السودان منصب قاضي القضاة اشترط ان يكون تعيينه بمرسوم خديو فقيل له ان مشاهرتك ستزيد بضعة أضعاف راتبك الحالي وأنت تشترط مثل هذا الشرط ، فكان له ما أراد . أما الخديو فرجع عن رأيه في المراغي وأدرك أنه قوال بالحق يهتم لدينه ولا يعبأ بالظواهر كثيراً . ولما ثارت مصر وانتقلت أخبار الثورة الى السودان كان قاضي قضاتها السيد المراغي في مقدمة المتظاهرين فلم يسع حكومة ذاك القطر الا أن تمنحه اجازة طويلة فأضاع منصبه ليخدم وطنيته . وجرى في مجلسه ذكر هلاك من لم يسلموا من الافرنج فأورد أسماء عظماء خدموا الانسانية منهم وقال انهم ناجون لأن الدعوة الى الاسلام لم تصلهم ونحن قصرنا في هدايتهم فلو كنا عرضنا عليهم الدين وما استجابوا له ربما ساغ لنا ان نقول انهم هالكون . وقال لي إنه حرض احدى الغنيات — لما خاف عليها الفتنة عند طلاق زوجها لها — على تعلم اللغة الفرنسية فشغل وقتها بما أسلاها في محنتها وكان من نصيحته ان تعلمت اللغة وتأدبت بأدبها من حيث لا تشعر . ولما مر ملك انكلترا بسواكن وكان قاضي قضاة السودان استقبله مع الحاكم العام وصافحه كما يتصافح المتماثلون فقال بعض الانكليز كان يصح له ان ينحني للملك كما انحنى المستقبلون قال : ليس في ديننا سجود لغير الله . واجتمع يوماً الى السير لامبسون سفير بريطانيا العظمى في مصر فقال له هذا ان السمكة تفسد من رأسها مشيراً الى بعض المقامات العليا فقال

الشيخ ان السمكة تفسد من بطنها قال السفير : هذا غير صحيح وأنا صياد أعرف السمك معرفة جيدة قال : الغالب انك تحسن الصيد في نهر التيمس ، والصيد في النيل غير الصيد فى التيمس . ولما قيل له وهو في مشيخة الأزهر انه كان الأولى به ان يبتعد عن السياسة ويبعد الأزهر عنها وان يشغل به أوقاته قال ان الاسلام دين سياسة ولا يسعه ان يتخلى عنها . وفي أيامه انقسم الأزهر قسمين بتأثيرات الحزبية فاضطر شيخه الى ان يقف الى جانب الفريق الذي اعتقده على الحق فسبب له ذلك اضطرابات نفسية ما حمدت مغبتها على صحته . ولو سئل عن سلوكه هذا ما عدم حجة يبرئ بها نفسه من الوناء المشهود في انهاض الأزهر على عهده الأخير . والداخل يعرف ما لا يعرفه من وقف وقفة المتفرج في الخارج .

لو انتفع الناس ببعض ما تفيض فيه قرائح المصلحين ما بقي في الناس جهول ولا ضال ، وواجب دعاة الاصلاح الا يتوانوا فيما تمحضوا له مهما قل المستفيدون منهم .

المراغي كان على أوفر نصيب من العلم والعمل فهو شخصية نادرة بين أهل جيله رحمه الله رحمة واسعة .

محمد كرد علي

ابن أبي عذيبة وتاريخه

(تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان)

١ — كلمة :

الآراء كثيرة ، ويتوجه اليها النقد ، ولكنها لا تستدعي النبذ دائماً ، ولا يعول على كلّ قول ، ولا يسلّم بكل نقد . واذا كان مع الخواطئ سهم صائب ، وان كل أحد يؤخذ من قوله ويرد فلا ريب ان ثروتنا التاريخية تتعين آثارها المشهودة بالتمحيص والنقد ، فترتفع قيمتها ، أو تنحط ، ولكنها لا تعدم فائدتها بوجه لما يجري عليها من غمز . والزمان كفيل بالتقدير .

وتاريخ ابن أبي عذيبة من تلك الثروة ، اشتهر في حياة مؤلفه ، وتناوله المؤرخون قديماً وحديثاً بالنقد ، فدخله التحقيق والتنديد . وقد نقل الأستاذ الفاضل عبد الله مخلص قسماً من ذلك ولكن ليس من الصواب أن يترك من جراء ما توجه من الغمز ، ويصح ان يكون صواباً أو غير صواب . واذا كان مخطئاً في أمر فلا تهمل مطالبه كلها .

جاء في (أنس الجليل بتاريخ القدس والخليل [1]) ما نصه :

« الشيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الشافعي المشهور بابن زوجة أبي عذيبة ، مولده بالقدس الشريف . قرأ القرآن ، واشتغل بالعلم . وكان من الفقهاء بالمدرسة الصلاحية ، واعتنى بعلم التاريخ ، وكتب تاريخين أحدهما مطول (وهو هذا [2]) والآخر مختصر . توفي يوم الجمعة ١٥ ربيع الآخر سنة ٨٥٦ هـ (١٤٥٢ م) ودفن بباب الرحمة . » اهـ

---

(١) العليمي القاضي مجير الدين أبي اليمن عبد الرحمن المتوفى سنة ٩٢٧ هـ — ١٥٢١ م ونقل هذا النص من غلاف تاريخ ابن أبي عذيبة . وفي كشف الظنون أنه أتمه سنة ٩٠١ هـ .

(٢) هذه الزيادة من ناسخ كتاب ابن أبي عذيبة .

وزاد الأستاذ عبد الله مخلص أنه أورد في تاريخه المطول والآخر المختصر أشياء فاحشة من ثلب أعراض الناس ، فأعدمه بعض المطاعين عليه ضناً بكرامة من تناولهم المؤلف بالطعن والتشنيع ، وأن التاريخ المطول لم يظهر بعد وفاته كما ان المختصر لم يبق منه إلا بعض كراريس نقل ذلك من التاريخ المذكور .

وأقول ان تواريخ المؤلف لم يعدم منها شيء ، وفي بحثي هذا أبين عنها ، وأدون المعروف من مؤلفاته . وكنت كتبت مباحث في تاريخ بن أبي عذيبة عند الكلام على حوادث العراق المنقولة منه [1] . وهنا أقدم للقراء الأفاضل ماعثرت عليه مؤخراً مع تلخيص لما سبق نشره . وان إثارة بحثه مجدداً يرجع الفضل فيها للدكتور اسعد طلس ، والأستاذ عبد الله مخلص مما شجع على اعادة القول . فقد أتاحا الفرصة .

وكان قد كتب أفاضل في موضوع تاريخ ابن أبي عذيبة ، فأوضحوا بعض الايضاح وأبدوا تحقيقات نافعة [2] ، فالفكرة متوجهة الى كشف النواحي المجهولة ، والقطع في بعض المطالب المشتبه فيها ، وقصدنا متوجه الى التعريف بالمؤلف وأثره .

٢ — حياة المؤلف :

لا شك ان آثاره مرآة نفسه ، وتعد صفحة كاشفة عن حياته ، ولا نعجل بالحكم ، فعمل المرء معروض للنقص والإكمال الا اننا نقول يحق لبيت المقدس أن تفخر بهذا المؤرخ ، فانه يعد من أكابر مؤرخينا ، وأفاضل ادبائنا وعلمائنا كتب في التاريخ السياسي ، والعلمي والأدبي ، فكان جديراً بالتقدير والاطراء . ولا يخلو امرؤ من هفوة ، أو نقص . والحك يجلو ، والتمحيص يميط عن وجه الحقيقة . والناس تتباين ميولهم وتختلف أنظارهم ولكل رأيه . ومن ثم يكون التعديل والتجريح ، ولكن على كل حال نريد ان نصغي وان نكون أوسع صدراً ، فنلتمس الصواب . رأينا تواريخ عديدة كتبت قبله ، فأحدثت تيارات متعاكسة ، وأوجد

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ١ ص ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٧٠ و ج ٢ ص ٢٥٧ و ٢٧٥ والملحق ص ٣٢ و ج ٣ ص ١٤٢ .

(٢) مجلة الهلال ج ٢٨ ص ٦١٧ وص ٧١٠ و ٩٢٦ و ج ٣٠ ص ٨٦٢ .

بعضها رغبة عامة ، وأخرى نفرة لما احتوت من دعاية أو تزلف . فظهر عليها الهوى والميل المنحرف ... وأخرى اصابتها السهام ولم تسكن الثائرة إلا وظهرت عظمتها . وهكذا كان قد لحق بعض المؤلفين ما لحق .

والمترجم الشيخ العلامة الأثري المؤرخ أبو عبد الله شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المقدسي . ولد سنة ٨١٩ هـ ١٤١٦ م ببيت المقدس ، وتوفي ليلة الجمعة ١٤ شهر ربيع الآخر سنة ٨٥٦ هـ — ١٤٥٢ م ، وعرف بابن أبي عذيبة بأستاذه محمد بن أحمد بن حاجي . فكان أحد شيوخه ، ذكر ابن ابي عذيبة أنه به عرف ، وأنه قرأ عليه العربية والتفسير والقراآت . وكان يعرف بابن عذيبة [١] ، كما أخذ عن المؤرخ المعروف (ابن قاضي شهبة) ، فاستمد منه ، وانتفع بتاريخه وتراجمه ، وأذن له في الكتابة في التاريخ والجرح والتعديل والتصنيف وأشار عليه به ، وقال له أنت حافظ هذه البلاد بل وغيرها ، وقد أجزت ذلك لك .

ومن شيوخه الشيخ عماد الدين القدسي . ذكره في خلال مباحث كتابه (دول الأعيان) قال : وكان من التاريخ بمكان [٢] .

ومن شيوخه في مصر (المحب ابن نصر الله البغدادي) وغيره .

ونرى السخاوي في الضوء اللامع — بعد أن أورد ما ذكر — صار يتحامل عليه قال: «ولع بالتاريخ ، وجمع من ذلك جملة ، لكنه تتبع مساوي الناس فتفرق لذلك بعده ، ولم يظفر مما كتبه بطائل مع ما فيه من فوائد وان كان ليس بالمتقن ، وجمع لنفسه (معجماً) وقفت على جلد بخطه وفيه أوهام كثيرة جداً ومجازفات تفوق الحد بل من أجل ما سلكه كان القدح فيه من كثيرين [٣] » اه .

فهنا يبين أن له ولعاً بالتاريخ ، وانه جمع جملة ، وبين انه ليس بالمتقن ، ولم يعين السبب ، ولا من ذكر مساويهم ... في حين ان السخاوي لم يسلم من مثل هذه الأقوال ، ولا كان بنجوة من ذلك بل كان مؤرخون قد طعن بهم جماعة مثل ابن خلدون وآخرين ، ونعلم ان السخاوي نقل الكثير من ابن أبي عذيبة

---

(١) الضوء اللامع ج ٦ ص ٣٠١ وهناك ترجمته (٢) تاريخ (دول الأعيان) ج ١ ص ٣٣٨

(٣) الضوء اللامع ج ٢ ص ١٦٠ .

في مواطن عديدة من تاريخه ... ولعله أدى الى ما كتب العليمي ، فتأثر به .

والملحوظ ان التاريخ الكبير غير هذا ، فقد جاء في المجلد الأول صفحة ٣٥١ من دول الأعيان عند الكلام على ترجمة النخعي أنه بسط ترجمته في التاريخ الكبير . ولعل ناقل النص عن تاريخ الأنس الجليل ظن ان هذا التاريخ هو التاريخ الكبير . ولا شك انه التاريخ الصغير للصراحة الموجودة في تاريخ دول الأعيان نفسه .

٣ – تاريخ دول الأعيان :

وهذا (تاريخ دول الأعيان شرح قصيدة نظم الجمان في ذكر من سلف من اهل الزمان) في خمسة مجلدات .

أوله : « الحمد لله القديم قبل حدوث الزمان والمكان ، الدائم الأبدي وكل من عليها فان » اهـ .

جاء في مقدمته : « لما وقفت على القصيدة المسماة (بنظم الجمان في ذكر من سلف من الزمان) فوجدتها بديعة في بابها ، قريبة من طلابها ، مذكرة بالقرون الماضية ، والأمم الخالية ... أحببت ان اضع عليها شرحاً لطيفاً يوضح ما فيها من الفوائد الغريبة ، والأخبار العجيبة ، والتواريخ الموقظة من رقدة الغفلات ، المعلمة بما ليس له فوات ، المعرفة بمن كانت الدنيا في يديه ، فلم تفده شيئاً ولا أبقت عليه ... وهي لمن تأملها بحسن النظر ، مقام كل تاريخ وخبر .

قال الناظم :

نصيحة من عالم خبير	لكل شيخ عارف كبير
وكل كهل فاضل نحرير	وكل حلف للصبي غرير
وامرأة عاقلة لبيبه	صبية أو كهلة أريبه
وللغني والفقير البائس	وللنديم والرئيس الجالس
ومن سطا وصال في الممالك	ولم يظن أنه بهالك
وخائف من كل أمر وجل	عن الأنام كلهم بمعزل
وجامع الأثاث والأموال	وباذل ما حاز بالسؤال

وفاجر منهمك في الفسق وعارف مجتهد في الحق
وزاهد قد ترك اللذات وعابد مواظب الصلاة
وجاهل لم يدر ما يقول وعالم في علمه تكميل
ليسمعوا وصيتي ويعلموا فان في الوجود من لا يفهم» اهـ.

وهكذا يمضي بالنصيحة فيذكر الطوفان إلى آخر ذكر الأنبياء ... فيوضح عن كلّ نبي تاريخه، وفي خلال ذلك يتعرض للأقوام وبعض الأمم القديمة، والشعوب العربية، ثم يذكر الرسول ﷺ، والخلفاء الراشدين، ودولة بني أمية، والدولة العباسية الى آخر أيام تيمور ...

وفي مباحثه يتناول الحالات العلمية والأدبية، فيذكر لكل خليفة من توفي في أيامه من العلماء والأدباء بعد ان يذكر وقائعه السياسية وغيرها ... فهو تاريخ سياسي علمي أدبي ومن ثم تتجلى أهميته. ومما يؤسف له ان الكتاب قد مسخه ناقله، فكثر فيه اللحن والغلط، فلم يبال بضبطه إلاّ أن الغالب من ذلك لا يخفى، ولا يحتمل ان يكون من عمل المؤلف. لأنه أديب فاضل، وعالم مدرّس، وآثاره تنبئ عن قدرة.

ويعوّل في تاريخه على مؤلفين عديدين، ينقل نصوصهم ويصرح بأسمائهم، فلم يبد من تلقاء نفسه أمراً الا ما تقتضيه مطالعاته، وما تسوق اليه آراؤه، أو يستدعيه البحث، شأن المؤرخ الفاضل الذي يريد أن يؤيد قوله بنصّ منقول. وقد أشبع هذا التاريخ من المباحث العلمية والأدبية ما هو نافع جداً، ولاذ أيضاً.

ومن نسخه الموجودة النسخة التي وصفها الأستاذ الشيخ كاظم الدجيلي الأديب المعروف وهي النسخة التي بين أيدينا. ولا يخلو الكتاب من غلط ناسخ إلا انه سهل التصحيح. ويعدّ من أجلّ الآثار فهو صالح للطبع والنشر على ان يخدم بتعاليق توضح بعض مطالبه.

ومن هذا الكتاب نسخة في مجلد واحد خطها واضح، وليس فيها ذلك الغلط، بل هي أقرب للصحة، وأصلها في خزانة كتب المرحوم احمد باشا تيمور، وجاءت باسم (انسان العيون في مشاهير سادس القرون) وقد نبهت في تاريخ العراق

عليها [1]. رأيت منها نسخة بالتصوير الشمسي لدى الأب أنستاس ماري الكرملي، فصارت لخزانة المعارف العامة. وذكرت بهذا الاسم (انسان العيون) في مقدمة الجامع المختصر لابن الساعي، فكانت هذه النسخة من مراجع تصحيح الكتاب، وهي لابن أبي عذيبة. ونسخة أخرى من هذا التاريخ ليست قديمة كثيراً، انتهى بها الى أيام الوليد بن عبد الملك، موجودة في خزانة قرا چلبي باستانبول برقم ٢٣٠٦ وتصلح للمقابلة.

٤ — القصيدة المشروحة (نظم الجمان):

وهذه القصيدة لم تكن لابن أبي عذيبة قطعاً، وان الأستاذ عيسى المعلوف قد رجح ان تكون للشيخ عبد الرحمن بن علي بن احمد البسطامي الحنفي المتوفى سنة ٨٤٣ هـ ولكن تبين أنها لمؤلف كتاب (أخبار الأعيان شرح نظم الجمان في ذكر من سلف من ملوك الزمان) فقد جاء البحث عن هذا الكتاب في فهرس دار الكتب المصرية بما نصه:

«وهو شرح على القصيدة المساة (نظم الجمان في ذكر من سلف من ملوك الزمان) كلاهما للشيخ عبد الله الشافعي الكاتب» اهـ.

وأوله: «الحمد لله القديم في الأزل قبل حدوث الزمان والمكان الخ» اهـ.

ذكر في مقدمته: «وبعد فاني كنت نظمت قصيدة وسميتها نظم الجمان بذكر من سلف من الزمان. وضمنتها كتابي المسمى بـ (منهج العارف وبهجة الواصف ... ثم عنَّ لي أن أضع لهذه القصيدة شرحاً تظهر به معانيها، وتتبين أحوال من ذكر فيها، فوضعت هذا الكتاب يتضمن نبذاً من أخبار ...) اهـ.

ومن هذا النص نقطع بأن المؤلف الشارح هو الناظم، ومن كتابه هذا ثلاث نسخ في دار الكتب المصرية كل نسخة في مجلد واحد، الا ان النسخة الثالثة لم يتيسر لنا الاطلاع عليها لأنها كانت في جبل المقطم. ومن ثم علمنا أنها غير ما رجحه الأستاذ عيسى المعلوف. والقصيدة في تاريخ ابن أبي عذيبة عين

(١) تاريخ العراق بين احتلالين ج ٣ ص ١٦٢.

المذكورة في هذا الكتاب . ولعل العثور على كتاب (منهج العارف) ، أو (نظم الجمان) يسهّل لنا المعرفة عن المؤلف فيزيل الإبهام . وورد في ذيل كشف الظنون لاسماعيل باشا البغدادي ذكر هذه النسخة أيضاً ولكنه لم يعين مؤلفها .

هذا ونظم الوقائع قديم في التاريخ ، وعندي قصيدة لعلي بن الجهم في التاريخ لأيامه . ولعلها أقدم القصائد . ثم جاء آخرون منهم صاحب هذه القصيدة ، ومنهم السيوطي وعديدون . لا محلّ لذكرهم الآن .

٥ — التاريخ الكبير :

وهذا رأيته في خزانة كتب قرا چلبي باستانبول برقم ٢٥٩ وهو الأول من التاريخ الكبير ، بخط مؤلفه احمد بن محمد القدمي الشافعي الشهير بابي أبي عذيبة ، قال في مقدمته :

« هذا تاريخ مختصر وضعته على السنين ... يتعين على الذكي حفظه وابتدأ بالسنة الأولى من الهجرة ، وانتهى بحوادث سنة ١٣٢ هـ » اهـ .

قال في آخره : « أنهى تمامه جامعه الفقير الى الله تعالى أحمد بن محمد بن عمر القدمي الشافعي الشهير بابن أبي عذيبة ... » اهـ وهنا ابن أبي عذيبة واضح جداً لا لبس فيه ، وفي أول الكتاب وعنوانه جاء الاسم بوجه الصحه . وهو مجلد ضخم . والكتاب نفيس جداً ، يراعي الحوادث منظمة على السنين . وقد أزال بصراحته كل ابهام ، وفي الضوء اللامع قد ذكر بهذا اللفظ أعني (ابن أبي عذيبة) .

ولعل الأيام تكشف عن باقي أجزائه . وهذا لا ينفي كونه التاريخ الكبير وإن جاء أنه تاريخ مختصر على السنين . لأن التاريخ العام مختصر دائماً ، فلا يسعه التفصيل الزائد ...

٦ — قصص الأنبياء :

للمترجم ابن أبي عذيبة . وقد ذكره الأستاذ عبد الله مخلص ، والدكتور أسعد طلس في مجلة المجمع الغرّاء لهذه السنة وللسنة التي قبلها كما جاء ذكره في الهلال بمناسبة ما كتبه الشيخ كاظم الدجيلي . وان المؤلف تعرض لذكره

عند الكلام على (شداد) قال : « وقد ذكرنا ذلك بأبسط من هذا في كتابنا «قصص الأنبياء» وذكرنا مادخل على الامام الثعلبي من الفساد في هذا الكلام ...» اه

ولما ذكر قصة يوسف عليه السلام قال :

« القصة محفوظة قد أفرد الناس فيها مصنفات ، وقد بسط الكلام عليها في (قصص الأنبياء) من تأليفي ... » اه .

٧ — سيرة الرسول :

وهذه تكرَّر ذكرها في تاريخه (دول الأعيان) ، وصرح بأنها من تأليفه . قال عند الكلام على مولده صلى الله عليه وسلم :

« وقد جمعت له صلى الله عليه وسلم سيرة في جزء مفيد لم أترك فيها إلا ما شذّ ، نافعة ان شاء الله تعالى . ذكرت فيها مبدأ أمره وسيرته وغزواته وبعوثه وسراياه ، ومتوفاه ... » اه

وليس لدينا ما نضيفه لعدم الحصول عليها ، وامكان وصفها .

٨ — الملل والنحل :

وفي تاريخ دول الأعيان تكلم في (كيومرث) ، وبين انه ادّعى النبوة وأن الفرس الثنوية اثبتوا أصلين يزدان واهرمن . ويزدان عندهم هو الله تعالى ، وأهرمن هو ابليس . وقالوا يزدان أولي قديم ، وأهرمن محدث مخلوق ، فكان يزدان وهو النور فكر في نفسه انه لو كان له منازع ، فحدث من هذه الفكرة الظلمة ، وخلق من الظلمة اهرمن ، وكان مطبوعاً على الشر ، فخرج على النور وخالفه طبيعة وقولاً ، وجرت بينهما محاربة ... (الى ان قال) :

قال أبو عبد الله (أي المؤلف) :

« هكذا ذكرت مذهبهم في الملل والنحل من تأليفي على ما نقلت من مذاهب الناس ... » اه .

٩ — معجم بن أبي عذيبة :

قال السخاوي وجمع لنفسه معجماً وقفت على جلد بخطه ، وفيه أوهام كثيرة جداً ومجازفات تفوق الحدّ ، بل من أجل ما سلكه كان القدح فيه من كثيرين .

ولعلّ هذا هو ما جاء في مخطوطات الظاهرية قسم التاريخ ، فان زمنه يوافق ما ذكر وهذا نصّ ما هنالك :

«مؤلف هذا الكتاب من علماء القرن التاسع ، فقد ذكر في كتابه اسم الأهدل أبي عبد الله حسين بن عبد الرحمن وقال «عصريّنا» . والأهدل توفي سنة ٨٥٥ هـ . والكتاب مرتب على الحروف ... [1]» اهـ

ومن المحتمل ان يكون قطعة من هذا الكتاب .

١٠ — المجتلى بأخبار أبي العلا :

للمترجم في سيرة أبي العلاء . وهذا الكتاب لم يتعرض له أحد عند الكلام على أبي العلاء في مهرجانه ولا في ما كتب فيه .

قال المؤلف في كتابه دول الأعيان في ترجمة أبي العلاء :

«أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري الأعمى ، وعمره (٨٦) سنة ، واختلف في عماه . والصحيح أنه في صغره من الجدري ، وهو ابن ثلاث سنين فانه قال ما أعرف من الألوان الا الأحمر ، فاني لما جدّرت ألبسوني أحمر . وكان غشي يمنى حدقته بياض ، وذهبت يسراه . ورحل الى بغداد ، وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ولزم منزله عند منصرفه من بغداد وسمى نفسه رهين المحبسين للزومه البيت ولذهاب بصره . وكان عالماً ، شاعراً ، لغوياً ، آية من الآيات ، وشعره في غاية الرقة والانسجام اليه النهاية ، وطبق ذكره الأرض ، وذكر عنه أقوال وأشعار بدل ظاهرها على فساد عقيدته وسوء طويته . قال ابن دقيق العيد : وكان الرجل في حيرة من دينه . قال الذهبي : والذي يظهر من حال الرجل انه مات متحيراً ، لم يجزم بدين من الأديان ، نسأل الله السلامة . وكان يزعم ان لأقواله باطناً وانه مسلم ، ويقال انه كان يرجع لمذهب الهنود البراهمة لتركه أكل اللحم والبيض واللبن ٤٥ سنة . وما كان يرى إيلام الحيوانات . وله مصنفات كثيرة ، وأشعار جيدة مشهورة لو لا ما شابها . ومن شعره :

---

(١) المجلد السادس من فهرس مخطوطات الظاهرية ص١٦٨ رأيته عند الدكتور أسعد طلس قبل أن ينشر من تأليف الأستاذ الفاضل السيد يوسف العش .

أبا العلا ابن سليمانا ان العمى أولاك احسانا
لو أبصرت عيناك هذا الورى لم ير انسانك انسانا

وأوصى أن يكتب على قبره :

هـذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد

لأنه ما تزوّج قط . ولما مات رثاه جماعة من تلامذته ، فقـال بعضهم قصيدة أولهـا :

سمر الرماح وبيض الهند تشتور في أخذ ثارك والأقدار تعتذر

وقال الآخر من قصيدة :

إن كنت لم ترق الدماء زهادة فلقد أرقت اليوم من جفني دما » اه

ثم قال المؤلف :

« وقد ذكرته في مصنف مفرد ، وذكرت أشعاره وما فيها ، وكثيراً من أقواله ، وسميته (المجتلى بأخبار أبي العلا) [1] . » اه .

وهذا من تأليفه بلا ريب ، ولم نعثر على نسخة منه .

١١ — مراجع تاريخ دول الأعيان :

تراجم هذا الكتاب كثيرة ، ومباحثه موسعة الا أنني رأيت ان أذكر بعض المراجع التاريخية التي نقل منها ، وعوّل عليها . وهذه كثيرة جداً . منها :

القضاعي ، وابن الجوزي ، وابن الأثير ، والثعلبي ، وابن وصيف شاه ، والهروي ، وعمارة اليمني ، والكسائي ، والمسعودي ، والشرشي ، والقرطبي ، وابن عساكر ، وابن اسحق ، وابن خلكان ، وابن الشحنة ، وابن عربشاه ، وابن خطيب داريا ، وابن عبد البر ، والشيخ عماد الدين القدسي ، والأصمعي ، وابن هشام ، والزمخشري ، والذهبي ، والطبري ، وابن ظفر ، وسبط ابن الجوزي ، وأبو معشر الفلكي ، وأبو الفرج الاصبهاني .

هذا بعض ما رأيناه في المجلد الأول بنظرة مسرعة لا على سبيل الاستقصاء ،

(١) تاريخ دول الأعيان ج ٤ ص ١٢ .

ولعل ما في الأجزاء الأخرى مما لم يتكرر ذكره أكثر من هذا العدد بكثير .
وبين هؤلاء مؤرخون ، وقصاص ، وأدباء لا تهمّهم الا الصنعة الأدبية . ومن
مطالعة تاريخه يظهر ان الرجل منهمك بكتب الأدب وقصصها ، فجرفه ذلك
وأدى به الى نقل حكايات مجالس لا يقصد منها إلا التلذّذ ، أو الدعابة ، وان
ذكر الأعلام التاريخية لا يخرجها عن كونها قصصاً لا تدخل في النقل التاريخي
الصحيح . ولعل مؤاخذته من جرّاء ذلك فقد وقع في هذا كثير من المعاصرين
والقدماء . وكان المرحوم الأستاذ الحاج علي علاء الدين الآلوسي ينقل عن
والده الأستاذ السيد نعمان خير الدين الآلوسي تحامله الشديد على مثل هؤلاء
ويشنع عليهم ، ويذكر أنهم منحرفون بأهواء اتخذوا الأدب وسيلة لهذا التنديد
والتثريب . وكتاباته تدل على هذا أيضاً . والمهمّ هنا تعيين وجهة الكاتب
أو المؤرخ ، ومعرفة قيمة النقل لما فيه شائبة أو كان خالياً منها ...

وهنا لا أمضي دون أن أقول ان المؤلف نقل بعض النصوص التاريخية قائلاً
جاء في (بعض التواريخ) . وعندي تاريخ مخطوط في (الدولة العباسية) الى
أيام المستنجد بالله الخليفة العباسي لم يعرف مؤلفه فكان هذا التاريخ من جملة
مراجع نقله ، فقد كان من ذلك الحين مجهول المؤلف ، ولم أتمكن من معرفته .
وربما عدت الى وصفه لعل في القراء الأفاضل من يعرّف بمؤلفه .

ومن ثم نعلم ان هذا التاريخ قد صرفت له جهود كبيرة ، وروجعت مؤلفات
عديدة في التاريخ وغيره لإبرازه . والآن مع وجود خزائن الكتب لا يكاد
يجد المرء مجموعة مثل ما وصلت اليه يد المؤلف .

١٢ — كلمتي الأخيرة :

ان المؤلف قد عرف تاريخه (دول الأعيان) والمجلد الأول من (تاريخه
الكبير) ، وتعينت بعض مؤلفاته ، ولعل الأيام تكشف عن باقيها .

أكتفي بهذا . والله ولي الأمر .

(بغداد) عباس العزاوي

أقرب الموارد

- ٣ -

ح ن ف س — قال الحَفنساء : القصير الضخم البطن هكذا بالنون وصوابه الحفيسأ مهموزاً غير ممدود ·

ح ق ر — قال : احقره واحتقره — استصغره · فعدّاه بالهمز والمعروف في الفصيح حقَّره بالتضعيف وأما الهمز فلم أعثر عليه لأحد من الأئمة ·

ح ق ل — قال الحقل — ماء الرُطب في الأمعاء وصوابه ماء الرُطب بسكون الطاء · قال الأزهري أراد بالرُطب البقول الرطبة من العشب الأخضر قبل هيج النبت ·

ح ل ب — قال · واحلب لأهله احلاباً واحلابة : حلب لهم وهم في المرعى ثم بعث به اليهم وصوابه وهو في المرعى · وعبارة اللسان « والاحلابة ان تحلب لأهلك وأنت في المرعى لبناً ثم تبعث به اليهم وقد احلبهم وهكذا عدّاها صاحب اللسان بنفسها ثم ذكرها مرة أخرى كذلك ولعل صاحب الكتاب جاء باللام للتقوية ولكنها بين الفعل ومعموله ليست مستحبة لأن الفعل قوي بنفسه على العمل والأمر في ذلك سهل

ح ل ب — أورد الشاهد هكذا « نحن غداة الحيّ لما دعوتنا »

وصوابه « ونحن غداة العين لما دعوتنا » كما في اللسان والتاج وأورد الشاهد الآخر هكذا « ردّ في الضرع ما جرى في الحلاب »

وصوابه « ما قرا في الحلاب » كما في الكتب المعتمدة

ح ل ت — قال والحليت : البرَد هكذا حرّك البرْد (ضد الحر) فجعله البرَد (حب الغمام) وفي القاموس والحليت البرْد وضبطه الزبيدي بفتح فسكون نصاً

ح ل ج — قال : الحُلُج الكثير الأكل · وقد سقطت منه واو الجمع والصواب الكثيرو الأكل لأن الحلج جمع

ح ل ز – أورد الشاهد هكذا

« يرفعن للحاوي اذا تحلّزا » هكذا بالواو وصوابه للحادي بالدال المهملة ٠

ح ل س أورد الشاهد هكذا « ليس بفضل حَلِسٍ حِلَّسَمّ »

ونصه وفي اللسان « ليس بقصرٍ » هكذا أنشده ابو عمرو وهو لمالك بن مرداس ٠ والقِصِل بالكسر الذي لا يتمالك حُمقاً ٠

ح ل ف – جعل محلوفاء من مصادر حلف وانما الذي ورد منها قول ابن برزج « لا ومحلوفائه لا أفعل » ٠ قالوا يريد محلوفه فمدها ولو كانت مصدراً لما احتاجت لهذا التعليل ٠

ح ل ق م – قال وفي القرآن : « فلولا اذا بلغت الروح الحلقوم » وصوابه « فلولا اذا بلغت الحلقوم »

ح ل ق م – وقال الحلقامة : الرُطبة : فتح الحاء والصواب كسرها وفي القاموس رُطبة حلقامة ٠٠٠

ح ل ي – قال : قال القرآن « اتخذ قوم موسى » والآية واتخذ

ح م ء – قال وفي القرآن « لقد خلقنا الانسان من صلصال ومن حمأ مسنون » أما الآية فنصها هكذا (سورة الحجر ٢٦) ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون ٠ ومن هنا لبيان الجنس لأن الصلصال من جنس الحمأ المسنون وليس غيره ليعطف عليه

ح م ء - قال والحمِيء : الرجل العيون هكذا جاء بها على وزن فعيل وفي القاموس « ورجل حَمِيء العين كخجل » عيون ولا بد من ذكر المضاف اليه في المفسر

ح م ء – كتب الهمزة في الحمأ الساكنة الميم على صورة الألف مع أنها اذا وقعت آخر الكلمة بعد ساكن لم يكن لها صورة كالعبء والرزء والدفء ثم انه قال والحمْ بحذف آخره واسكن الميم شكلاً ولا معنى لاسكان ميم الحم وانما هو بعد نقصه محلٌ لحركة الاعراب واحسب ان هذين غلط مطبعي

ح م ج – قال : وحمَّج اليه جَدَّد النظر هكذا بالجيم وصوابه حدَّد النظر

ح م ر — قال وحمارة القدم : ما اشرف فوق أصابعها وقيل ما أشرف بين مفصلها وأصابعها من فوق ، أورد الحمارة بتخفيف الراء اكثر من مرة والصواب تشديدها كما نص عليه في النهاية وكما أوردها في اللسان وقوله ما أشرف فوق أصابعها لم يذكره اصحاب الكتب المعتمدة وانما ذكروا ما أورده صاحب الكتاب مضعفاً بكلمة قيل

ح م ر — أورد الشاهد هكذا

الخمر والخمر العتيقة والطلى بالزعفران فلن ازال مردّعا

أو الذي أورده صاحب اللسان

الخمر واللحم السمين واطّلي بالزعفران فلن أزال مروّعا

وفي رواية التاج « فلن أزال مبقعا » واما « والطلى ومردعا بالدال فلم يروهما واحدٌ منهما »

ح م ش — قال : وحمشت الساق ض ... و — الرجل حمشاً وحمشه : غضب و — الشر أشتد وظاهر ذلك انهما من باب ضرب والصواب انهما من باب تعِب تعَباً .

ح م م — قال وحمّم المرأة : متعها بالطلاق والصواب متعها بشيء بعد الطلاق كحمها . والطلاق لا يكون متعة للمرأة

ح ن ث ر — قال الحنثر والحنثري : الرجل الأحمق هكذا فتح أولها والصواب الكسر نصاً عن التاج

ح ن د — قال « الحنود الحِسي وهو البئر والركيّة ج حُنُد قال بعض أئمة اللغة وأحسبها الحند من قولهم عين حُند لا ينقطع ماؤها » هكذا جاء بها بالنون ولكن ما حسبه بعض أئمة اللغة هو الحتد بالتاء قال في اللسان :

« روى ابو العباس عن ابن الاعرابي قال الحُنُد الاحساء واحدها حنود . قال : وهو حرف غريب (ثم) قال وأحسبها الحتد (بالتاء) من قولهم عين حُتد لا ينقطع ماؤها .

ح ن ر — قال : حنَرَ الحنيرة ، هكذا جاء بها ثلاثية والمعروف حنَّر بالتشديد وأرجح انها غلط مطبعي لأنه لم يذكر بابها من الثلاثي كما هي عادته

ح ن ص — قال : حنص الرجل . ض . حَنصاً : مات ، جعلها من باب ضرب وظاهر القاموس انها من باب نصر ثم انه فتح حاء الحنصأوة والصواب كسرها

ح ن ف — قال : تحنف عمِل عمَل الحنفية يقال شافعي تحنف ونص الائمة تحنف عمل عمل الحنيفية وهي ملة ابراهيم (عليه السلام) وجعل النسبة الى مذهب ابي حنيفة « الحنيفي » (بياء بعد النون) والصواب ان النسبة اليه حَنَفي كجهني وثقفي في النسبة الى جهينة وثقيف

ح ي د — قال : حيّد السيرَ : قدّه وصوابه جعل فيه حيوداً والحيود تقال لما يتعقد في الحبل من شدة الفتل ونص عبارتهم يقال قدّ السير فخرّده وحيَّده أي جعل فيه حيوداً

ح و ر — قال : كشؤم ناقة ثمود . وصوابه كشؤم حوار ناقة ثمود

وقال الحوَار بالفتح والكسر : مراجعة الكلام . جعل الفتح أصلاً والكسر لغة مع ان الكسر هو الأصل لانه مصدر حاوره محاورة وحواراً

ح و ص — قال : اني اجد في بطني حوصاً وبوصاً . هكذا أوردها بالباء وصوابه ونوصاً بالنون والنوص الحركة

خ ب ء — قال الخُبَأة : البنت للزومها البيت (بسكون الباء) وفي اللسان والعرب تقول خُبَأة خير من يَفعة أي خُبأة بوزن هُمزة أي بضم ففتح

خ ب ب — قال الخب : الخَبل و — حبل الرمل اللاطئ بالأرض هكذا فسره بالخبل بالخاء المفتوحة بعدها باء ساكنة والخبل في اللغة في اخص معانيه ضرب من الجنون . ولم اجد في معاني الخب ما يشبه ذلك ولعله أراد الحَبل بالحاء المهملة بدون اضافة الى شيء ثم ثنى في معانيه بحبل الرمل وليس الحبل على اطلاقه من معاني الخب بل هو حبل الرمل اللاطئ بالأرض فليتأمل

خ ب ث — قال في نص الحديث فلا يقربن مجالسنا . ونص الحديث مسجدنا

خ ب ر — قال : خَبُرَ الشيء وخَبَرَه و — به . ر . و — له . ل . خِبْراً وخُبْراً وخِبْرَة ومَخبَرَة ومَخبُرَة : علمه (الخ) أما خَبُر خُبْراً فهو لازم لا يتعدى

بنفسه بمعنى صار خبيراً وقد سمع قولهم لا خْبُرَن خُبْرَك كما مثل له هو حيث عمل في المفعول المطلق فتوهم انه متعد الى المفعول به كخَبَرَ من باب نصر فقال وخَبُرَ الشيءَ وخَبَرَه

خ ب ر — وقال: اعطاه خِبْرَته اي نصيبه · هكذا بكسر الخاء والصواب ضمها وسياقه يدل على ذلك فهو إذاً غلط مطبعي

خ ب س — قال الخِبس: آخر اظماء الابل · تبع في هذا القول صاحب التكملة والذي عليه جمهور الأئمة انه احد اظماء الابل لغة في الخمس

خ ب ل — جعل خَبَله الحب من باب نصر وصوابه من باب ضرب كما في المصباح والمختار

خ ت ر ب — قال ختربه: قطعه وغطاه (بغين معجمة بعدها طاء مهملة) وصوابه وعضاه (بعين مهملة بعدها ضاد معجمة) أي فصله عضواً عضواً

خ ج ل — قال: وفي الحديث انه قال للنساء اذا شبعتن خجلتن أي فعلتن ما يوجب الخجل والحياء اما نص الحديث فهو «اذا جعتن دقعتن واذا شبعتن خجلتن اي اشرتن وبطرتن» · وقد عدل عن تفسير الأئمة للحديث من الأشر والبطر الى ما يوجب الخجل والحياء والفرق بين العبارتين واضح من حيث الكياسة

خ ج ي — قال الأخجى: الافجح · هكذا قدم الجيم وآخر الحاء والصواب العكس وأحسب انه غلط مطبعي

خ د ب — جعل خدب خدباً من باب نصر وهو من باب ضرب كما في اللسان

خ د ج — قال وأخدج امره: أحكمه والصواب لم يحكمه · قال في مستدرك التاج يقال أخدج فلان امره اذا لم يحكمه وانضج أمره احكمه فالساقط من عبارة صاحب الكتاب خمس كلمات فانقلب المعني الى عكسه

خ د ش — قال والمُخدَش: كاهل البعير · وقد ذكر الأئمة في فعله خدَشه يخدِشه خدشاً وخدّشه للتكثير ولم يذكروا اخدشه واما في الكاهل فقالوا مخدَش كمنبر وهي من صيغ المبالغة ومخدَّش ومخدِش كمعظّم و محدِّث

خ ذ ل — جاء بالشاهد « وكأنها عياء ام جويذر » وصوابه عيناء واحدة العين وهذا غلط مطبعي

خ ر ب — قال خرَّب الجدار : ضد هدَّمه مع ان الخراب يصدق على الهدم وفسر اهل اللغة التخرب بالتهدم فكيف يكون ضداً له

خ ر ب — وقال : تخرَّب القادح الشجرة . هكذا بالتاء المثناة وتشديد الراء والصواب نخرب القادح الشجرة بالنون

خ ر ب — وقال الخَرِبة : موضع الخراب ج خِرَب جاء بها وزان عنب والصواب خَرِب بفتح فكسر وزان حَذِر

خ ر ب ق — قال الخرنبق : اللاحق بالأرض هكذا بالحاء المهملة وصوابه اللاصق بالصاد المهملة

خ ر ج — قال خرَّجه : جعله يخرج . وهذا غريب منكر لم اره فيما رأيت من كتب الائمة واحسب انها بعيدة عن الاستعمال وان صحت في القياس لشيوع المضاعف في معنى جعله ضروباً والواناً

خ ر ج — وقال المُخرج ... واسم مكان يقال ادخلني مُدْخل صدق . وهذا من عدم الكياسة لأنه ذكر الآية القرآنية ودلَّ عليها بكلمة يقال

خ ر ز — قال : ما ينظم في السلك من الجذع والودع هكذا بالذال المعجمة والصواب بالزاي

خ ر م — ضبط الخرومانة بسكون الراء وفتح الواو والصواب العكس

خ ز ب — جاء بالخزبية لمعدن الذهب وهي معرفةٌ باللام مع انها علم للمعدن كما صرحوا به وحكمها حكم أسامة للأسد او جهينة للقبيلة المعروفة

خ ز ر — قال خزَر الشيء : ضيقه . مع ان الخزَر خاص بتضييق العين

خ ز ق — قال وعليه الحديث : « ما خزق المِعراض فكُلْ » والذي في النهاية لابن الأثير « وفي حديث عدي قلت يا رسول الله انا نرمي بالمعراض فقال : كُل ما خزق وما اصاب بعرضه فلا تأكل » فليس الحديث كما رواه وشرط النقل الأمانة

خ زم — قال : يقال أعطوا القرآن خزائمه ، وهذا حديث ونصه « ومرهم ان يعطوا القرآن بخزائمهم » قال ابن الأثير يريد به الانقياد لحكم القرآن والقاء الازمّة وصاحب الكتاب حرّف الحديث واخلّ بالمراد

خ ز ي — قال : وفي حديث الشعبي « وقعنا في خزية لم نكن فيها الاّ بَرَرَة أتقياء » وهكذا نقض النفي بالا مع ان الحديث « لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء »

خ ز ي — قال كلام مَخزِيٌّ : يُستحسن هكذا على صيغة المفعول من خزي صوابه مُخزٍ على صيغة الفاعل من أخزى

خ ش ب — قال واختشب السيف : اتخذه خشَباً . هكذا حرّك الشين فأوهم انه اتخذه من مادة الخشب والصواب اتخذه خشْباً بسكون الشين أي مخشوباً قبل ان يحكم صقله

خ ش ب — قال : هم خَشَب بالليل لا يتهجدون . هذا مقتطع من الحديث في ذكر المنافقين « خُشُب بالليل صُخُب بالنهار » قال في اللسان بضم الشين وتسكّن تخفيفاً

خ ش ب — قال ومال مَخشَب : هزلى . وقد ضبطه الصاغاني ككتف

خ ش ش — قال : الخِشاش بالكسر .. و — العود يجعل في عظم انف البعير الواحدة خَشاشة ، هكذا كسر في الجمع وفتح في المفرد والصواب الكسر فيهما .

خ ش ف — قال خشَف الخشَف بالقوم خَشافة : دلّ بهم ... خشَّف : دل على الطريق . هكذا اختصر ولخص كلام الأئمة ونص التاج « خَشَف بهم خَشافة كسحابة وخشّف تخشيفاً اذا مضى بهم » ، وكل ما ورد من الشرح يدل على السير والذهاب واصل معنى الخشوف الصوت والحركة والفعل من حدّ نصر وضرب خشوفاً وخشفاناً محركة اذا ذهب في الأرض والخشَفُ الدليل الماضي ولعل العبارة الأخيرة حملت صاحب الكتاب على هذا التلخيص الناقص

خ ص ر — قال الخاصرة : ما فوق الحرقفة والقُصَيرى وقيل ما فوق الطفطفة والشراسيف . والتفسير الثاني يجعل الخاصرة فوق الطفطفة وتفسير اهل اللغة

يدل على العكس قال في التاج «وما فوق الخصر من الجلدة الرقيقة الطفطفة» هكذا في المحكم وغيره وفي اللسان نفس العبارة وهي كما ترى جملة مستقلة للتعريف بالطفطفة وليست من تفسير الخاصرة

خ ص ص — جاء بالشاهد «واذا تصبك خصاصة فتحمل» بالحاء المهملة وصوابه فتجمَّل بالجيم كما في اللسان وهو من التجمل واظهار الغنى .

خ ص ل — قال خَصلهم . ن . خَصْلاً وخصالاً : فَضلهم ، هكذا من الفضل والصواب نضلهم من النضال . ولم يفته معنى النضال فجاء بهٔ بعده ولكن الفضل لم يكن من معاني الخصل فمن اين أتى به ؟؟ ومن الذي نص عليه ؟

خ ض ب — جعل الخضَبة (بفتحتين) للمرأة الكثيرة الخضاب وصوابه الخُضبة كهُمزة .

خ ض ر — قال اختضر الفاكهة : أكلها قبل إنانها وصوابه كما نص عليه الأئمة قبل إناها اي قبل ادراكها

خ ض ر — وضبط الخضر في حديث علي «ليس في الخضِر زكاة» بضم ففتح وزان زُفَر وصوابه بفتح فكسر وزان حَذِر

خ ض ع — جعل خضاعاً من مصادر خضع وفتح أولها ولكنه الخضاع بالكسر وهو من مصادر خاضع المرأة اذا خضع لها بكلامه وخضعت له فطمع بها

خ ط ف — جاء بالشاهد هكذا «رأى الموت في عينيه أسود احمرا» والراوية فيه «رأى الموت رأي العين» والراوية الأخرى «رأى الموت بالعينين» والباء هنا للاستعانة وليس للظرفية هنا محل

خ ظ ظ — قال خظّ الرجل : استرخى بدنه واندال وقد تبع في عبارته صاحب القاموس وصوابه اخظ الرجل استرخى بطنه واندال كما في اللسان والتاج والتكملة والعباب

خ ف ر — قال وخفر بالعهد : وَفى به . وهذا غريب لأن خفر العهد ضد الوفاء به وكأنه استخرج الضدية من لازم قولهم خفره بمعنى اجاره فهل له ذلك وهل هذا صحيح ؟ ؟

خ ف ر — قال وخفر الزرع : شرحه لم أهتد الى المراد من شرح الزرع ولم أجد ما يشبه هذا المعنى في كتبهم

خ ف ث ل — ضمّ الخاء من خفثل وصوابه الفتح وزان جعفر

خ ف ج — قال : الخفج ككتف والصواب الخفيج كأمير كما في القاموس وفي اللسان والغليظ مكان الضعيف

خ ف س — جعل خفَسه خفساً من باب نصر وهو من باب ضرب

خ ف ي — أتى بالشاهد « خفاهن ودق ذو سحاب مركب » ورواية اللسان والتاج من سحاب مركب ورواية ابن بري من عشي مجلب فمن الجارة لم تتغير على اختلاف الرواية فما بال صاحب الكتاب احل محلها ذو

خ ف ي — قال : والخفاء ايضاً الكساء ، ففتح الخاء والصواب الكسر وربما فتحوه في معنى الغطاء على أشكال

خ ف ي — قال الخفية : الركية والغيضة الملتفة وليست الخفيَّة الركيَّة على اطلاقها بل هي اذا تركت واندفنت ثم حفرت فلا بد من ذكر ذلك ليتم المعنى المراد بها

خ ق ق — قال الخُقّ بالضم : الغدير اذا جفّ وتتلع وفي كتب الأئمة وتقلفع ، جاء به صاحب الكتاب مضموم الأول نصاً وصوابه الفتح كما جاء اكثر من خمس مرات في اللسان وأحلّ تتلع محل تقلفع ولا مناسبة بين معنى المادتين ولا بين جفاف الغدير والتتلع الا اذا كان اقتبسه من التلاّع العامية للمدر الذي يقلع من الأرض ويرمى به وهذا في الفصيح القلاع لأن أصل مادته القلع وأراه تعمد هذا التبديل بدليل قوله بعد قوله وتتلع « وفي اللسان وتقلفع » وكأنه لم يرضه قول صاحب اللسان فعدل عنه .

خ ل ب — قال الخلب بالكسر الظفر و — حجاب الكبد وقيل غلاف البطن و — الحبْل منه (كذا) و — ورق الكرم ، فما هو الحبْل من غلاف البطن وقال حجاب الكبد وعبارة القوم حجاب القلب او حجاب بين القلب والكبد أو لحمة رقيقة تصل بين الأضلاع والكبد . وعلى ذكر الحبْل قال الأئمة ان

الخلب بالضم حبل دقيق صلب الفتل من ليف او قنب او حبل من قطن ولعل القطن تحرف عليه بالبطن فقال حبل من غلاف البطن وقوله ورق الكرم . هو ليس على اطلاقه بل الخلب العريض منه

خ ل ب ب — قال الخُلُبُوبُ : الخداع المكار وصوابه الخَلَبُوب بياءين محركاً كما في التاج

خ ل د — قال أي مقرطون مسودون بالدال وصوابه مسورون بالراء من السوار

خ ل ط — جاء بالآية الشريفة بقوله « وفي القرآن ان كثيراً من الخلطاء يبغي » ونص الآية « وان كثيراً من الخلطاء ليبغي »

خ ل ع — قال وخلع قائده : أزاله بالزاي وصوابه اذاله بالذال المعجمة اي اهانه .

خ ل ف — وقال في جمع الخليف خلَف والصواب خُلُف وجعل خلف بمعنى استقى وما بعدها من باب ضرب . وكلها من باب نصر كما هو الظاهر من القاموس ومثّل للخلَف بمعنى الولد مطلقاً بقولهم « عدم الخلَف ولا بئس الخلف » وليس هذا صالحاً للتمثيل بالمعنى المراد وانما الذي مثلوا به قولهم « نعم الخلَف وبئس الخلف » وأما العدَم فقد ذكره صاحب التاج بأنه على مثال ضده (أي الخلف) وهو العدَم والتلف

خ ل ق — قال : خلق الأديم قدّه قبل ان يقطعه والصواب قدّره وقاسه قبل ان يقطعه ، وهل القدُّ غير القطع ؟؟

خ ل ق — تبارك الله احسن الخالقين أي المقدرين أو الصانعين أو هو مبني على زعم الزاعمين ، أنا لم أفهم مراده من قوله أو هو مبني على زعم الزاعمين والزعم مطيّة الكذب وأين محل الزعم من هذه الآية الكريمة وصدر الآية في بيان تطوُّر خلق الانسان في بطن أمه وقد حذف صاحب الكتاب الفاء من فتبارك التي تربط أول الآية بآخرها

خ ل ق — قال : المختلِق (هكذا بصيغة الفاعل) التام الخلق المعتدله وهو في اللسان لهذا المعنى بصيغة المفعول واستشهد له بقول البرج بن مُسهر

فلما ان تنشّئ قام خِرْق من الفتيان مختلَق هضيم

ولكن صاحب الكتاب أورد هذا الشاهد بمعنى انه خلق خلقة تصلح للملك

خ م ر — وقال في خَمِر من باب علم . و — المزادة : خرز ناحيتها وعلاّها بخرز آخر وصوابه أنها من باب نصر

خ م س — وقال : خمس القوم . ن . خمساً : أخذ خمس أموالهم و — كان خامسهُم فجعلها من باب واحد وهو باب نصر . مع ان الأولى من باب نصر والثانية من باب ضرب .

خ م ص — قال وفي الحديث : « خماص البطون من أموال الناس خفاف الظهور من دمائهم » أي لم يأخذوا أموالهم ولم يسفكوا دماءهم لكن نص الحديث في اللسان « خماص البطون خفاف الظهور » ثم قال صاحب اللسان مفسراً اي انهم أعفَّة عن أموال الناس فهم ضامرو البطون من أكلها خفاف الظهور من ثقل وزرها وصاحب الكتاب خلط التفسير بنص الحديث ولم يجيء بالتفسير على ما فسروه به وتصرف في شرح المعنى كما أراد لا كما أراد المضطلمون بالكتاب والسنة !!

خ م ص - وقال الَخمصان الحشى والُخمصان الحشى بفتح الخاء وضمها : الضامر البطن خِماص وهي خَمصانة ونص القاموس « رجل خمصان بالضم وبالتحريك وهذه (اي التحريك) عن ابن عباد

وكذلك ذكر الحديث « كان ُخمصان الأخمصين » بالفتح ونصه عند الأئمة بالضم

خ م ص — وقال : يقال ليس البطنةُ خيراً من خَمصة تتبعها وصوابه ليس للبطنة خيرٌ من خمصة تتبعها وقد انقلب المعنى بهذا التحريف من مدح الخمصة الى ذمها .

خ ن ء — قال خنأ الجزع خنأً : قطعه وصوابه الجذع بالذال المعجمة واحد جذوع النخل

خ ن ب — فتح خِنَّابة الأنف والصواب كسرها

خ ن ظ ل — قال والخنظل القطار وصوابه العطار أي بائع العطر

خ ن ف س — قال : الخَنفَسَة من الابل وصوابها الخُنفُسَة كعُلَبِطة كما وزنها صاحب التاج .

خ ن ن — وقال : اصيبت الإبل بالخِنان فكسر أوله وصوابه الضم لأنه من الأدواء .

خ و ت — قال في تَخوَّت و — تخوَّت حديث القوم : أخذ منه فتحفَّظه وقال في اختات حديث القوم مثل ذلك والصواب فيهما فتخطفه هذا ما ذكره اهل اللغة والاختطاف غير التحفظ .

قال في الخوخة وهي في قوله : « سُدُّوا عني كل خوخة في المسجد غير خوخة ابي بكر » بمعنى البويب

وهذا حديث نبوي ونصه كما في النهاية : « لا يبقى في المسجد خوخة إلا سُدَّت إلا خوخة أبي بكر » وفي حديث آخر « الا خوخة علي » والخوخة باب صغير كالنافذه الكبيرة . اهـ . فقد حرَّف الحديث كما ترى

خ و س — جعل خاست الجيفة من باب نصر وكذلك خاست البضاعة وهما من باب ضرب

خ و ف قال : هو يأخذهم على تخوف . وهذه آية قرآنية نصها « أو يأخذهم »

(النبطيّة) احمد رضا

الملك الظاهر بيبرس

- ٣ -

وفوجئ بيبرس وهو في مصر بأمر لم يكن في الحسبان : ذلك أن فقراء الصوفية هاجوا على شيخه الشيخ خضر . ومن مواضع العجب ان يستسلم عقل بيبرس الجبار الى هذا الشيخ وأباطيله . وما ذاك إلاّ لأنه كان بشره بالملك فناله فعدّ بيبرس هذا الاتفاق كرامة للشيخ فأسلمه قياده . وشدّ ما كان لأمثال هذا الاتفاق من أثر سيء في تاريخ الاسلام وفي عقلية المسلمين . فبنى له زاوية وكان يستشيره ويطلعه على أسراره . ويستصحبه في أسفاره . وقد عناه ابن رضوان بقوله في مدحة للملك الظاهر :

(لما رأينا الخضر يقدُم جيشه   أبداً علمنا أنه الاسكندر)

وكان يخبره بالمغيبات فتقع كما قال . وسمى أحد أولاده خضراً تفاؤلاً باسمه فكبرت نفس الشيخ خضر . وامتدت أصابعه الى اللعب في المملكة . وتمدّى طوره الى ما فيه إخلال بالأمن فتعرّض للمعابد غير الاسلامية . يتصرف فيها برأيه : ففي دمشق استولى على كنيسة اليهود . وعمل فيها سماعاً للصوفية . ومدّ لهم سِماطاً . لكن هؤلاء الصوفية أنفسهم عادوا فثاروا عليه وأنكروا من اعماله ما لا يسوّغه عقل ولا يصدر مثله من مسلم . فاستدعاه السلطان وجمع بينه وبينهم . ولما علم صدق مقالهم استشار الأمراء فيه فأشار بعضهم بقتله . وبعضهم بحبسه . وشعر الشيخ خضر بميل السلطان الى الرأي الأول فقال له : (إن أجلي منوط بأجلك فإن قتلتني لحقتني) فخاف الملك وحبسه وذلك (سنة ٦٧١ هـ) وبعد خمس سنوات توفي الشيخ خضر فبلغ الملك وفاته وكان في دمشق فاضطرب ومرض ومات بعد أيام كما يأتي . وقبر الشيخ خضر معروف الى اليوم

باسم (زاوية سيدي خضر) بشارع راس التين في الاسكندرية [1] ٠

واتفق ان هدم بيبرس احد قصور الفاطميين فوجد فيه امرأة في صندوق وقد نُقش عليه اسم الظاهر وصفته ٠ وهذا بالطبع يسرّه ويُعلي من شأنه ٠ والصندوق قد يكون هيأه من قبل مخرقٌ كالشيخ خضر أو أنه فرعوني قديم وقد كتب عليه كلة هيرو غليفية فحرفوها الى بيبرس ٠

واحتفل بزفاف ابنه الملك السعيد فرسم أن تجتمع العساكر في (قره ميدان) تحت القلعة فبقوا خمسة أيام وهم في مهرجان او عيد يمثلون معارك حربية وفصولاً هزلية ٠ والناس من حولهم يلهون ويلعبون وخلع على رجال الدولة نحو الف وثلاثمائة خلعة ٠ وأرسل مثلها الى دمشق ٠ ومُدَّت الأسمطة وحضرها رسل الافرنج والتتار ٠ والملكُ جالسٌ على تختٍ من آبنوس مذهب أُنفق عليه الف دينار وقدَّم الامراء الهدايا حسب العادة فلم يقبل من كلٍ منهم سوى ثوب واحد جبراً لخاطره ٠ قالوا (ولم تُمكَّن واحدة من نساء الأمراء على الأطلاق من الدخول) ولم أفهم معنى هذا ٠

وبعد ذلك شخص الملك الى دمشق وهي سفرته الأخيرة ٠ ومنها الى حلب فأقام في قرية (حيلان) ذات العين الفوارة ٠ ونهض منها فالتقى بالتتار وحلفائهم من بني سلجوق على نهر جيحان فكانت معركةٌ حامية الوطيس (وكان الملك يكرّ على العدو كالأسد الضاري ويقتحم الأهوال بنفسه ويشجع أصحابه ويطيب لهم الموت في الجهاد الى أن انزل الله نصره) وانكسر التتار اقبح كسرة ٠

---

(١) وقصة الشيخ خضر مع بيبرس صورة مكبرة لقصة الشيخ سليمان مع بربر ٠ وذلك ان مصطفى آغا بربر الذي استبد بحكم طرابلس الشام قبيل دخول المصريين إلى سوريا كان يعتقد بولاية شيخ اسمه الشيخ سليمان وقد أسكنه معه في قلعة طرابلس وكان هذا الشيخ يقول لبربر أبشر يا أقرع إنك لا تموت إلا على فراشك ٠ وكان لا يخرج من القلعة أصلاً وبربر من عامة الناس لكنه أعرف الناس بطبيعة الناس فأصدر فرماناً بحبس الشيخ سليمان في القلعة وعدم خروجه منها مدة حياته فغضب الشيخ سليمان على بربر وما زال به حتى نقض حكمه عليه واسترد حريته وجعل يخرج من القلعة الى حيث شاء ٠

وُقتل من قُوادهم جماعة كما استشهد من امراء بيبرس طائفة وأسر من كبار السلجوقيين طائفة . وهرب وزيرهم الأكبر المسمى (برواناه) الى عاصمتهم (قيصرية) فأخبر سلطانه (غياث الدين) بما جرى فهرب الى توقات . وقامت الشعراء تهنئ بيبرس وتتغنى بذكر بطولته وبطولة أمرائه . ولحق الملك بالمنهزمين الى (قيصرية) فمر بقرية أهل الكهف وهي (أفسس) الى ان دخل قيصرية ومشى اهلها بين يديه . وجلس على عرش ملوكها السلاجقة . وخُطب فيها باسمه وهادَن أولاد (قَرَمان) . وهم أمراء كان لهم شان في ذلك الزمان والمكان . وعاد فمر بمكان المعركة فقيل له ان عدة من قتل من المغول وحدهم (٦٧٧٠) نفساً .

وعاد الى دمشق في ٧ محرم سنة ٦٦٧ ونزل بقصره الأبلق في المرجة . وقد بلغه ان التتار يتجهزون للكرَّة عليه فأوجس خيفة لأنه شعر بوعكة وتعب . ثم بلغه ان ملك التتار عاد الى بلاده منهزمًا فكان ذلك من لطف الله به : إذ أن وعكته استمرَّت ثمانية عشر يومًا على أثر إكثاره من شرب القِمِزّ الذي وصفناه في اول المحاضرة وقلنا إن (بيبرس) كان مولعًا به لأنه الشراب الوطني لقومه . شعر بيبرس في أول الأمر بحرارة في جوفه فوُصف له مقيء ثم مُسهل ثم مسهل آخر أشدُّ من الأول أعقبه نزيف ثم اشتدت حُمّاه . وضعفت قُواه . وهكذا اسلم روحه الى الله .

وذكرَ بعض المؤرخين لموته أسباباً ربما كان في بعضها بعضُ الصحة : ذلك ان القمر كسف كسوفاً كليًا وأظلمت الدنيا على أثره . فتأوَّلوه بموت رجل عظيم فخشِي الظاهر ان يكون هو ذلك العظيم . فرأى أن يَفدِي نفسه بالملك القاهر الذي كان من عظماء مملكته . وهو ابن المعظَّم عيسى بن الملك العادل (جارنا الأدنى) وكان بيبرس يحسد القاهر هذا على بطولته . وعلى لهج الناس بالثناء عليه . ويقال إن القاهر عاب الملك الظاهر في بعض ما كان منه في حرب التتار . كل ذلك حمله على الفتك به . فيتخلص من منافسته له أولاً

ويكون فدية عنه ثانياً . فدسّ له سُماً في هنّاب [١] شراب القِمز (والهناب قدحُ الشراب الضخم) وقام القاهر من المجلس الى فراشه ومن فراشه تواً إلى قبره . وغلط الساقي فسقى الظاهر بالهنّاب المسموم الذي شرب به القاهر ونسي ان يغسله من أثر السمّ . فكان ذلك هو السبب في موته . وقد عُدّ قتله للقاهر من أقبح المآثم التي كان ينبغي أن يتورّع بيبرس عنها .

وكانت وفاته في ١٤ محرم سنة ٦٧٦ وعمره احدى وخمسون سنة ومدة ملكه ثماني عشرة سنة . فكتم الأمراء خبر موته عن الناس ونقلوه سراً من القصر [٢] الأبلق الى قلعة دمشق . فحنطوه وعلقوا تابوته في غرفة من غرفهم . وكتبوا إلى ابنه الملك السعيد بالخبر . واستأذنوه في مكان دفنه . لأن الظاهر أوصى ان يدفنوه على طريق (داريا) في مكان قريب منها . فلم يرض ابنه إلا أن يُدفن داخل سور دمشق . فابتاعوا دار العقيقي الواقعة أمام مدرستنا هذه بستين الف درهم فهدمت وبُنيت مدرسةً للشافعية . ودُفن الظاهر في زاويتها الجنوبية . وفي الزاوية الشمالية حمام ما زال يعرف بحمام العقيقي الى اليوم .

(١) لفظ هناب من الألفاظ الصليبية الدخيلة اقتبسه المسلمون في أثناء الحروب الصليبية من الألمانيين واسمه في لغتهم (hnap) .

(٢) القصر الأبلق هذا ويسمى الجوسق أيضاً ، والجوسق كلمة تركية عربها العرب من كلمة كوشك) بناه الظاهر في مرجة دمشق بالحجر الأسود والأصفر ولذا سمي الأبلق وهو (يشتمل على قاعات مفروشة بالرخام الملون المفصل بالصدف والفص المذهب وله رفارف تناغي السحب وتشرف على المدينة والغوطة) وقد كتب على أسكفته انه (عمل ابراهيم بن غنائم سنة ٦٦٨) وهو المهندس المصري المشهور الذي بنى المدرسة الظاهرية حيث مدفن الملك الظاهر وابنه الملك السعيد وعلى زاوية أسكفتها العليا كتبت العبارة المذكورة نفسها (عمل ابرهيم ابن غنائم) وبقي القصر الأبلق حتى هدمه تيمورلنك سنة ٨٠٣ وابث متهدماً حتى بنى السلطان سليمان العثماني تكيته من أنقاضه سنة ٩٧٤ ه وكان على واجهته مئة أسد منزلة صورها بالحجر الأسود في الأبيض وهناك أخرى بالحجر الأبيض في الأسود . وصورة الأسد هي (رنك) الملك بيبرس أي شعاره الخاص وما زال هذا الشعار الظاهري منقوشاً على بعض أحجار التكية السليمانية وبارزاً لعين من يراه .

واشتهرت المدرسة باسم المدرسة الظاهرية وكان نقل جثمانه اليها في ٥ رجب فيكون قد بقي في تابوته معلقاً في القلعة ستة أشهر إلا أياماً ·

***

هذا ما استطعنا ان نلخصه من أخبار جارنا الملك الظاهر · وقد اتفقت كلمة المؤرخين على أنه اعظم السلاطين الذين ملكوا مصر والشام بعد صلاح الدين · ويجيء بعده المنصور قلاوون · وهؤلاء الثلاثة لهم الفضل الأكبر في جلاء الصليبيين عن الديار الشامية وكانت مراكزهم الكبرى (القدس) و (انطاكية) و (طرابلس) : صلاح الدين أخرجهم من القدس · والظاهر من انطاكية · وقلاوون من طرابلس ·

قال الذهبي (وكان الظاهر خليقاً بالملك لولا ما كان فيه من الظلم) وقديماً قالوا : لا يقوم الحق الا على شعبة من الباطل · ولم يقم فاتح من كبار الفاتحين ويستتب له سلطان من دون ان يرتكب شيئاً من الظلم والعدوان · من ذلك ما ذكرنا من اغتيال الظاهر للمعظم توران شاه ابن الصالح ايوب · ثم اغتياله الملك قطز · ثم المغيث ملك الكرك وهو من سلالة بني أيوب · ويُروى ان السبب في قتل الأخير تعرضه بالسوء لامرأة الظاهر مذ كانت في الكرك · وأخيراً قتل بيبرس الملك القاهر دساً بالسم ·

وأفظع من هذا كله قتله الفي أسير من الصليبيين بعد أن أمّنهم (كرمون التتارى) وهم يظنونه بيبرس كما ذكرنا في فتح صفد فأشبه بيبرس في فعلته هذه (نابوليون بونابرت) الذي قتل الفي أسير مسلم في يافا بعد رجوعه خائباً من عكا · وقد عاب المؤرخون عليهما فعلهما غير أن بعضهم التمس لها عذراً بأن أسرى صفد وأسرى يافا نقضا عهد النابوليونَيْن ولم يطبقوا شروط الصلح التي اتفقوا عليها ·

وللظاهر مشابه أخرى بنابوليون · ومنها النبوغ في فن الحروب وقلقلة الركاب في أطراف البلاد ونشاط الحركة في الكرّ والفرّ · وكان الظاهر يباشر الحروب بنفسه ويشارك جنوده في هدم الأسوار أحياناً ويعتني بالمرضى والجرحى معهم ·

وكان مشتغلاً بهدم سور قيسارية يوماً فورد اليه كتاب من أمرائه يشكون له ما لاقوا من أسوار (البيرة) فكتب اليهم (إنا بحمد الله ما ُخصصنا عنكم براحة ولا دَعة . ولا انتم في ضيق ونحن في سعة . ما هنا إلا من هو مباشر الحروب الليلَ والنهار . وناقلُ الأحجار ومرابطُ الكفار . وقد تساوينا في هذه الأُمور . وما ثَمَّ ما تضيق به الصدور) فهو كنابليون يتألف رجاله وينصفهم من نفسه ويحملهم على التأمي به . وأرسل الرسل مرةً الى (بيموند) صاحب طرابلس ورافقهم في زي خادم كي يتعرف خبايا البلد ويدرس طرق الاستيلاء عليها .

ونقض ملك الروم عهده فاستقدم اليه أساقفة مصر وسألهم عن حكم نقض العهد في دينهم فقالوا حرام . ومن فعله ُيحرَم من دينه وكتبوا ذلك في كتاب فألف بيبرس بعثةً اكليركية من راهب وأسقُف وقسيس وارسلهم الى القسطنطينية يبلغون الملك قرار الحرمان . لكن الملك البزانسي ارعوى عن غيّه واسترضى الظاهر وجدد له بناء جامع القسطنطينية الذي بناه الأُمويون في صدر الاسلام فأرسل الظاهر الى الجامع السجاجيد والمباخر وقناديل الذهب .

وقد ظهر لنا من تضاعيف أخبار بيبرس أنه لم تكن له أنسة ولا اهتمام بالموسيقى والشعر والشعراء . ولا بمجالس الأدب . ومحافل الطرب : فان السياسة وحبّ الفتح والنكاية في العدو وعمرانَ البلاد وتشييد المباني والآثار — كلُّ ذلك شغله عما سواه . نعم كان ُيعني بنشر العلوم الاسلامية على اختلاف ضروبها فقد بنى لها المدارس وعيّن لها الفقهاء . وأعاد الجامع الأزهر إلى ما كان عليه في العهد الفاطمي بعد ان خَمَل شأنه في العهد الصلاحي . ولم يكن له شعراء ومغنون ُيحيون مجالسه ويعيشون بجوائزه . كما كان لغيره من الملوك وهذا لعمري من ممادحه . وغرّ مناقبه : فإن حراسة البلاد والقيام بأعباء الملك جدير أن يشغل صاحب الملك عن اللهو وصنوف الدَعة والرفه . ويدلك على شدة اهتمامه بحراسة البلاد الاسلامية قوله لبعض امرائه وقد اشار الأمير عليه بملاينة التتار فانتهره بيبرس صائحاً : (أنتم سببُ هلاك المسلمين) .

وكل ما في الأمر انه اصطفى لرئاسة ديوان انشائه أديباً من الكتاب (وهو محي الدين بن عبد الظاهر) فكان ينظم احياناً الشعر مهنئاً له . وواصفاً أعماله . من ذلك أن الملك بيبرس حاصر عكا فلم ينل منها . ورجع الى عكار ففتحها فقال محي الدين :

يا مليك الأرض بشرا ك فقد نلت السعادة
إن عكار لعمري هي عــــكا وزيادة

ولما أوقع الملك بالتتار على شاطئ الفرات هنأه كاتبه بقصيدة عارض فيها قصيدة ابن هاني الأندلسي في المعز الفاطمي التي أولها :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

فقال محي الدين :

سر حيث شئت لك المهيمن جار واحكم فطوع مرادك الأقدار

ومنها وهو معنى أظنه مبتكراً :

رشّت دماؤهم الصعيد فلم يثر منه على الجيش السعيد غبار

ولو قال (بلّت) مكان (رشت) لكان أجود .

ومما يدل على ان بيبرس ما كان يحفل بكل ما يسمونه أدباً وأدباء وشعراً وشعراء — مجافاته للمؤرخ الأدباء والشعراء القاضي ابن خلكان فقد عزله من قضاء دمشق بعد ان قام به مدة عشر سنين . وكأن المؤرخ ابن خلكان اراد ان ينتقم منه فلم يذكر له ترجمة في تاريخه كما ترجم لغيره من الملوك ممن لا يقاس به ولم يفر فريه .

ومن شعراء عصره السراج الوراق وابو الحسين الجزار وابن الخشاب . ولم يكن لهم فيه مدح يذكر . وشعر يؤثر . ولم ينقل عنه أنه اجازهم بالأموال والبدر . وكانوا اذا نظموا فيه قالوا شعراً متكلفاً . وسلكوا في مدحه طريقاً متعسفاً : من ذلك ما قالوه في مدرسته التي بناها في القاهرة ويقال انه بناها بحصته من غنائم انطاكية .

قال السراج :

مليك له في العلم حبٌ وأهله فلله حبٌ ليس فيه ملام

وقال الجزّار :

ألا هكذا يبني المدارس من بنى ومن يتغالى في الثواب وفي الثنا

وقال ابن الخشاب :

قصد الملوك حماك والخلفاء فافخر بأن محلك الجوزاء

الى آخر القصائد وهي ليست مما اعتاد ان يقوله أمثال هؤلاء الشعراء في امثال ملك عظيم كالملك الظاهر وما كانوا ليقولوا هذا فيه لو اكثر لهم اللُّهى . إذ لا يخفى ان اللُّهى تفتح اللَّها ولم يكن هذا بخلاً منه فقد مرّ انه كان يمنح رجاله الأموال الطائلة لكنه مشى في معاملة الشعراء على اثر عمر بن عبد العزيز

وكان الظاهر يحب التاريخ ويقول (سماع التاريخ اعظم من التجاريب) وكان يطرب لصناعة الانشاء ويسرّه ان تحبَّر الرسائل في مخاشنة الأعداء من ذلك ان الملك الظاهر كان حاول فتح طرابلس وتدميرها على رأس صاحبها البرنس (بيموند) . فلم يتيسر له ذلك فتركه وصمد الى انطاكية وكانت انطاكية داخلةً في حوزة بيموند ففتحها بيبرس وقتل اربعين الفاً من أهلها بعد ان لم يتيسر فتحها لصلاح الدين . وعاد الى دمشق وأقيمت المهرجانات في قلعتها احتفالاً بالعيد وبافتتاح انطاكية وأرسل منها الى (بيموند) كتاباً يخبره بما وقع من الاستيلاء عليها . والكتاب من انشاء رئيس ديوانه وقد ساق خبر الفتح مساق البشارة لبيموند ولكنها على حد قوله تعالى : « فبشرهم بعذاب اليم » والكتاب طويل مذكور في صبح الأعشى (جزء ٨ ص ٢٩٩) ونكتفي منه بفقرات . قال بعد ما وصف فتحه لانطاكية :

(وسلامةُ النفس هي التي يفرح بها الحي اذا شاهد الأموات . ولعل الله إنما أخر أجلك لتستدرك بالطاعة لنا ما فات . ولما لم يسلم أحد من اهل انطاكية

يخبرك بما جرى لم خبّرناك . أو يبشرك بسلامة نفسك وهلاك حزبك بشّرناك .
فينبغي لك بعد الآن أن لا تكذّب لنا خبرا ولا تقل لما جرى كيف جرى) .

وللشيخ النووي شيخ دمشق حكاية مع الملك الظاهر نختم بها محاضرتنا
ذلك ان الملك أراد أن يضع ضريبة لتسديد نفقات الحرب واستفتى الفقهاء
فأفتوه بما أراد ماعدا الشيخ النووي قائلاً : الضرائب انما تفرض عند الحاجة
ولا تتحقق هذه الحاجة الا بعد ان يباع ما في القصر السلطاني من المماليك
والأواني وحليّ الذهب والفضة التي هي كلها من مال بيت المسلمين وبعد ذلك
للملك ان يضع ضريبة حرب . فسكت الملك مغضباً .

هذا أيها الملك الجليل والجار العظيم ما طالته يدنا من أخبارك . واستطعنا
ان نجمعه من جليل آثارك . فإذا كان هناك أشياء من مناقبك لم تطل يدنا
اليها . أو لم يتسع الوقت للإتيان عليها . فاعذرنا إذن وارجع الى الرمس .
قرير العين مطمئن النفس والسلام .

المغربي

ضرب الحوطة على جميع الغوطة

للحافظ محمد بن طولون الدمشقي الحنفي رحمه الله

نشرها نشراً جديداً وعلق عليها الدكتور محمد أسعد طلس

(القسم الثالث)

---

(٢٧) المراد بالتكية تكية السلطان سليمان القانوني فان اموال نواب المماليك ومقدميهم صارت كلها الى السلطان سليم وأولاده فوقفوها أو تصرفوا بها كما يريدون

(٢٨) يقول Dussaud ص ٣٠٣ ان حزرما هي شرقي بيت نايم ٠ وقد ذكرها Sauvaire 280 ,II, 1894 و Quatremére في Les Sultans Mamlouks ٩٨/٢ وقال: ان وارداتها السنوية كانت تقدر بعشرة آلاف وخمسمائة درهم ٠

(٢٩) أقول وذلك ما يزال مكتوباً على حجرة لا تزال موجودة في دار الحديث هذه على الحائط الشرقي ٠

(٣٠) هو جمال الدين ابو المحاسن يوسف بن عبد الهادي أستاذ ابن طولون المشهور بابن المبرد أيضاً ٠ انظر ما كتبناه عنه وعن آثاره في مقدمة كتاب «ثمار المقاصد في ذكر المساجد»

(٣١) ذكرها ياقوت دون ان يضيفها الى (العواميد) وقال Dussaud : هي قرب البحيرة وانما جاءها اسم العواميد من ثلاثة أعمدة رومانية ما زالت قائمة فيها ٠ وانظر ما كتبه عنها Le Strange ص ٤٢٩ ، و Sauvaire 238 ,II,1894 ، و Porter في Five Jears in Damaskus. I,376 ٠

(٣٢) يقول Dussaud ص ٣٠١ : يوجد شرقي دمشق قريتان اسمها الحديثة وبعضهم يقول حديثة وحديدة — كما في السالنامة — أولاهما حديثة الجرش [التي سيأتي الكلام عليها] وهي شمال زبدين ٠ والثانية حديثة التركمان او الحديثة فقط وهي جنوب شرقي شبعا ٠ [ملاحظة: لقد كرر رقم (٣٢) في القسم الأول وهو خطأ]

(٣٣) هذا التعبير يراد به انه كان يتصرف بها ٠

(٣٤) هو صاحب التربة المزلقية ، الغني الكبير صاحب الأوقاف وقد أطال النعيمي الكلام عنه في كتابه « تنبيه الطالب » فارجع اليه وانظر ما كتبناه عنه في نشرنا لكتاب ثمار المقاصد في ذكر المساجد لابن عبد الهادي ٠

(٣٥) قال Dussaud ص ٣٠٥ هي قرية في غربي دير العصافير ٠ وهناك خيارة أخرى بوادي العجم (انظر Dussaud ص ٣١٢) وخيارة ثالثة في البقاع [انظر ص ٤٠٩] (٩) قال دوسو ص ٢٩٧ : مشهورة بعينها وهي ضاحية كبيرة جنوب غربي دمشق نجد لها ذكراً في النصوص السريانية القديمة باسم [دارالشام] ٠ كما نجد لها ذكراً في النصوص المسيحية اليونانية باسم (داريا) انظر ابن جبير ص ٣٠٢ وياقوت ٥٣٦/٢ و Le Strange ص ٤٣٦ و Sauvaire ,II, 296 ٠ وانظرهامش دوسو ص ٢٩٧ وهناك داريا اخرى بمنطقة صيداوثالثة بمنطقة طرابلس فانتبه

(٣٧) لعل المراد بهذا التعبير انها كانت للسلطان ٠

(٣٨) لا يذكر Dussaud هذه القرية وانما يذكر قرية اسمها دقا ويقول ويقول ذكرها ياقوت ٥٨١/٢ و Le Str ص ٤٣٨ ولا يعين موضعها ولا يذكر شيئاً عنها

(٣٩) يذكر Dussaud ص ٢٩٩ انها شمال شرقي دمشق ويخطئ ياقوتاً حين يقول انها كانت تسمى قديماً توما (بالتاء) وان الباب منسوب اليها ٠ وانظر ما قال عنها Le Str ص ٥٤٧ و Sauvaire II, 239 ٠

(٤٠)[1] أمير كبير من القاب المماليك راجع كتاب ٠٠٠ La Syrie لديمومبين ٠

(٤١) لم أهتد اليها فيما بين يدي المصادر ٠

(٤٢) يقول Dussaud ص ٣٠٩ : يطلق اسم الربوة على هضبة وقرية غربي دمشق وقيل ان القرآن أشار اليها بقوله عن عيسى وأمه (وآويناهما الى ربوة الخ الآية) ولكن هناك خلافاً بين المفسرين على هذه القضية ٠٠٠ والربوة مفصولة عن قاسيون بعقبة دمر ٠ انظر ياقوت ٧٦٢/٢ ٠ و Le Str ٠ ص ٥٢١ و Sauvairs 420 , II,300 ، وابن جبير ص ٢٧٨ و ٢٧٩ ٠

(١) لقد طبع هذا الرقم في الصحيفة ١٥٧ خطأ (٣٠) فليصحح

(٤٣) بياض بالأصل ولعل المحذوف كلمة [دمشق] وفي الخزانة ص ٤٧ : النيرب

(٤٤) قال المؤلف في كتابه تاريخ الصالحية [الربوة اعظم منتزهات دمشق كان بهـا اربعة مساجد وجامع بخطبة ومدرسة وكان بها النخوت وهو قصر مرتفع على سن جبل به قاعة وطبقات على هيئة الايوان ينظر الجالس هناك من مسافة يوم لو لم يكن حائل به وكان بها خمس مقاصف وكان بها [العاشق] و [المعشوق] وهما برجان للحمام في لحف الجبل الغربي وشماليها برج العذول .

(٤٥) قال دوسو ص ٣١٣ [زملكا] و [زملكان] شيء واحد فقد حذفوا النون منها كما حذفوا النون من [بلدان] فقالوا [بلدا] وهي جنوب غربي عربين . انظر ياقوت ٢/٩٤٤ . و Le Str. ص ٥٥٥ .

(٤٦) ذكرها Dussaud ص ٣١٣ وقال انها قرب المليحة وقرب عين الحلوش أو الحروش . وانظر Sauvaire 1894,I,455 .

(٤٧) يذكرها Dussaud ص ٣١٣ ويقول : كانت مزرعة وقرية في المرج . وانظر أيضاً Sauvaire 1894 II 124 .

(٤٨) لا يعرف Dussaud هذه القرية وانما يعرف سويداء جبل الدروز فقط .

(٤٩) يذكرها ياقوت ٣/١٠٠ ويذكرها Dussaud ولا يعرف موضعها انظر ص ٣١٢ . وانظر أيضاً Le Str ص ٥٢٧ و Sauvaire 1894,I,265 .

(٥٠) لايعرف Dussaud هذه القرية .

(٥١) يقول ص ٣١١ هي ضاحية كبيرة شمالي دمشق بناها في القرون الوسطى المهاجرون المسلمون من بيت المقدس لما أخذه الصليبيون . انظر ياقوت وتاريخ الصالحية لابن عبد الهادي وتاريخها لابن طولون وكلاهما مخطوط . وقد صارت الصالحية اليوم قسماً من مدينة دمشق .

(٥٢) يقول Dussaud ص ٣١٢ خربت في أوائل القرن الثالث عشر الميلادي وموضعها وآثارها بين دمشق والمزة انظر ياقوت ٣/٤٣٦ . و Le Str ص ٥٣٠ و Sauvaire II,229,363 فانه يقول : انها غرب نهر القنوات باتجاه جامع خاتون .

(٥٣) لم يذكرها Dussaud .

(٥٤) قال Dussaud ص ٢٩٤ هي شرقي دمشق ذكرها ياقوت ٧/٧٥٩ Le Str. ص ٣٨٧ . والمقدمي في مراصد الاطلاع ٢/٢٩٢ وقد أخطأ الناشر فكتبها عين توما

(٥٥) قال Dussaud ص ٢٩٤ هي شمال شرق دمشق .

(٥٦) قال 〃 ص ٢٩٣ هي شمال المرج قرب الصحراء ويرى دوسو ان يفتش عن هذه القرية في منطقة الخضرا ثم ساق طرفاً من تاريخها فارجع اليه اذا شئت . ويسمى المرج باسمها فيقال مرج عذرا انظر ياقوت و Le Str. ص ٥٠٣

(٥٧) قال Dussaud ص ٢٩٤ هي جنوب الجنوب الشرقي من دمشق .

(٥٨) هي راوية فانظر ما كتبناه فيها . وهي اليوم معروفة بقبر الست ويقول Dussaud ص ٣١٠ في كلامه على راوية : ان المؤرخين الثقات يقولون ان فيها قبراً لامرأة تسمى ام كلثوم وليست بنت النبي التي تزوجها عثمان ولا بنت علي وفاطمة التي تزوجها عمر بن الخطاب ولكنها من أسرة النبي (؟) وهناك موضع للشك فان ابن بطوطة يذكر انهم قالوا له لما زار راويه ان فيها قبر سكينة بنت الحسين انظر الرحلة ص ٢٢٥

(٥٩) لا يذكر هذه القرية Dussaud

(٦٠) يقول Dussaud ص ٣٠٨ : القابون غربي حرستا البصل مشهورة بمائها وهوائها وفيها قصر حسن البنيان كما يقول Sauvaire [1894,II,427] كان ينزل فيه السلطان في رحلاته . ولا يفرق دوسو بين القابونين

(٦١) بياض بالأصل .

(٦٢) يقول Dussaud ص ٣٠٩ القصير قرية صغيرة وقربها عن القصير شمال دمشق ذكرها ابن جبير ص ٢٦١ و Le Str. ص ٤٨٩ وانظر ما قال عنها دوسو في هامش ص ٣٠٩

(٦٣) لا يذكرها Dussaud

(٦٤) يقول Dussaud ص ٣٠٤ هي جنوب غربي دمشق ويسميها الجغرافيون القدماء كفرسوسية وهي شهيرة بزيتونها وفيها كتابات سريانية أنظر ياقوت ٤/٢٨٨ Sauvaire 1894.II,425 أو Le Str . ص ٤٧٢

(٦٥) لا يذكر Dussaud هذه القرية وانما يذكر قرية اسمها (قيسا) ويقول ص ٣٠٩ انها جنوب شرقي القاسية ثم يقول انظر (دير قيسل) ٠

(٦٦) انظر دير محمد ٠ ويقول Dussaud ص ٣٠٨ هي شرقي كفر بطنا انظر ياقوت ٤/٤٣٠ و Le Str. ص ٥٠٩

(٦٧) يقول Dussaud ص ٣٠٥ : هي غربي زبدين ٠ ثم يذكر المنيحة ويقول ينبغي ان نفتش عنها ان لم تكن هي نفس المليحة وفيها قبر الصحابي سعد بن عبادة انظر ما كتبناه عنها في كتاب ثمار المقاصد ٠

(٦٨) يقول Dussaud ص ٣٠٨ : وفيها مسجد القدم النبوي وكان يقال لها مشهد القدم ٠ وانظر أيضاً ما كتبناه عنها في ذيلنا على كتاب ثمار المقاصد في ذكر مساجد دمشق لابن عبد الهادي ٠

(٦٩) الف ابن طولون فيها رسالة خاصة اسمها المعزة فيما قيل في المزة نشرت سنة ١٣٤٨ ٠ ويقول Dussaud ص ٣٠٧ هي شرقي دمشق وتسمى مزة كلب لأن فيها قبر دحية الكلبي ٠ وكان فيها معامل ماء الورد وقد أطال الكلام عنها ابن بطوطة في رحلته ٠

(٧٠) يقول Dussaud هي تربة قديمة امام باب الصغير صارت حدائق منذ عهد ياقوت ويقال ان قابيل سكنها انظر ياقوت ٤/٢١٩ و Ls Str. ص ٤٧٣

(٧١) نجدها بكثرة هي و (سطرا) مذكورتين في الشعر الذي قيل في مدح منتزهات دمشق [انظر محاضرة الأستاذ كرد علي] ويقول Dussaud ص ٣٠٦ : هي قرب دمشق ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها ٠ وانظر Le Strange ص ٤٩٩ و Sauvaire 1894,I,420 وقال الأستاذ كرد علي (مقرا) هو المكان المعروف عند طاحون الاشنان في شمال شرقي البلد ٠

(٧٢) قال Dussaud هي شمال المزة ٠ ولها مسجد فية قبر أم مريم ومصلى الخضر وهي كثيرة المياه والحدائق ٠ ومنذ القرن السادس عشر لم يعد يعرف موضعها بالضبط وانظر ابن جبير ص ٢٧٩ وياقوت ٤/ ٨٥٥ وابن بطوطة ص ٢٣٥ و Le Str. ٥١٤ ٠ والاصطخري ٥٨ ، وابن حوقل ١١٤

(٧٣) لا وجود لهذه القرية عند Dussaud ·

(٧٤) يقول Dussaud ص ٣١٣ بلدان هي بلدا ويقول ياقوت: هي قرب دمشق شرقي القدم وربما كتبت خطأ جلدا · وقد وجد فيها Porter بقايا آثار رومانية انظر ياقوت ٤/١٠٢٥ و Le Str. ص ٥٥٢ ·

* * *

هذا ما ذكره ابن طولون من قرى الغوطة في زمنه ونحن الآن نعقب عليه بأمرين (الأول) ذكر القرى الموجودة الآن التي اهملها ابن طولون إما لأنها لم تكن موجودة في زمنه وإما لأن اسماءها قد تغيرت · و (الثاني) ذكر القرى التي كانت قبل ابن طولون ثم اندرست وقد اهتدينا اليها اثناء مطالعاتنا في كتب شتى · وقد وضعنا القسم الأول تحت حرف (آ) والثاني تحت حرف (ب) ·

(آ)

الأشرفية : لا يذكرها ياقوت وهي اليوم جنوب داريا

البلاط : ويقال لها بيت البلاط ذكرها ياقوت وقال هي من الغوطة ولم يعين موضعها · وهي اليوم غربي زبدين ·

ببيلا : يذكرها ياقوت وهي جنوب شرقي دمشق · وانظر Le Str. ص ٤٥١ و Sauvaire II,380 ·

بلاس : ذكرها ياقوت وقال: بلدة بينها وبين دمشق عشرة اميال · قال حسان:

(فالقريات من بلاس فداريا فسكاء فالقصور الدواني)

البلالية : ذكرها Dussaud ص ٢٩٤ وقال: انها شرقي تل الصالحية

تل السلطان : غربي قرحتا · وانظر ما قال عنها Dussaud ص ٣١٣

تل الصالحية : شرقي دمشق شمالي حزرما وغربي النشابية يقول Dussaud ص ٣١٣ : لعلها كانت مدينة قديمة فقد اكتشف فيها Porter آثاراً قديمة · انظر مجلة Syria سنة ١٩٢٤ ص ٢١٠

تل مسكن : غربي بحيرة الهيجانة ذكرها Dussaud ص ٣١٢

جديدة : شمالي بحيرة الهيجانة ذكرها دوسو ص ٢٩٩ وتسمى أيضاً
جديدة الخص انظر Porter ا ص ٣٨٧

حوش الاشعري: جنوبي جسرين بها جامع لطيف ذكرها Dussaud ص ٣٠٤
〃 خرابو : ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها وذكرها 〃 〃
〃 الدوير : جنوبي دير العصافير 〃 〃 〃
〃 المُدمُل: قرب دير سلمان ذكرها Dussaud ص ٣٠٤
〃 المتبن : قرب حرستا القنطرة 〃 〃 〃
〃 الفارة : ويقال لهاقصر الفارةجنوب عدرا 〃 〃
〃 حمّار : قرب حران العواميد ذكرها 〃 〃
〃 المباركة: شرقي الشفونية 〃 〃 〃
〃 الكوكب : غربي سكا 〃 〃 〃
〃 الريحانية : جنوبي مسجد القدم 〃 〃 〃

حجيرا : يذكرها ياقوت باسم حجرا وهي غربي قبر الست وفيها قبر الصحابي
مدرك بن زياد انظر Dussaud ص ٣٠١و٣٠٤ و LeStr ص٤٤٥

حديثة التركمان : جنوبي شرقي شعبا
حصن الدوير : شمال شرقي سكاء
حصن النصارى : شمالي المحمديات
حصن الكواكب : 〃 قرحتا

خربة أُلمسيع : في منطقة حران العواميد ذكرها Dussaud ص ٣٠٥
خنيزيرة :ويقال لها خنيصرة شرقي بحيرة الهيجانة ذكرها Dussaud ص٣٠٥
داعيــة : قرية بين حمورية وبيت سوا وهي من أفضل قرى الغوطة ويقول
الأستاذ كرد علي [مجلة المجمع ١٦/١٦٢] انها كانت معروفة الى
القرن التاسع وقد تحقق عندي انها اليوم داخلة في أراضي حمورية
دلبــه : قال Dussaud ص ٢٩٩ وهي بين سكاء ودير سلمان
دحيريج : منطقة البحيرتين ذكرها Dussaud ص ٢٩٩

دير سلمان : شرقي حرستا القنطرة وبها مسجد ويقول Dussaud ص ٢٩٨ انها شرقي ام العواميد

〃 العصافير: يقول Dussaud هي جنوب شرقي زبدين . وقول من قال ان اسم هذه القرية مأخوذ من السريانية [دير الصفارين] محل للشك

〃 الاوسط : شرقي البحيرتين وقال دوسو ص ٢٩٨ فيه آثار بيزنطية

〃 القبلة : شرقي البحيرتين قاله دوسو ص ٢٩٨

〃 شمال : 〃 〃 〃 〃 . 〃

ريحان : يذكرها Dussaud ص ٣١١ ويقول انها بين عذرا ودمشق

راوية : هي قرية قبر الست التي ذكرها ابن طولون ويقول ياقوت : فيها قبر الست زينب بنت فاطمة ، ويقول دوسو هي في جنوب الجنوب الغربي من دمشق انظر ص ٣١٠

سبينة وسبينات: لم يذكرهما ياقوت وهما جنوب دمشق وفيها اقنية رومانية انظر Dussaud ص ٣١٢

سبعة : ذكرها ياقوت ص ٢٥٤ وقال دوسو ص ٣١٢ : هي جنوب الحيارة وتحديدها يبين لنا حدود بيت الابار التي تشمل على عدة قرى كانت شرقي وجنوب شرقي دمشق .

سكاء : ذكرها ياقوت وقال دوسو ص ٣١١ : هي شمال غرب الغسولية وقد وجد فيها آثار رومانية ترجع الى القرن الثالث المسيحي وكنيسة للقديس بولص انظر Le Str. ص ٥٢٨

الشغونية : شمال جسرين ذكرها دوسو ص ٣١٢

الصفوانية : يقول دوسو ص ٣٠١ انها عند باب توما وهي التي يسمونها الآن الصوفانية بين باب توما والمستشفى الانجليزي

صحنايا : لا يذكرها ياقوت وهي اليوم جنوب داريا

صهيا : جنوب قبر الست ذكرها دوسو ص ٣١١

الضمير : قرية أثرية هامة جداً اطال دوسو الكلام عنها وعن آثارها وأهميتها ص ٣٠٠ و ٣٠١ وقال لعلها مدينة Admedra التي كان لها اهمية كبرى منذ القرن الأول للمسيح وفيها هيكل مؤرخ بناؤه بـ ١٥ اكتوبر سنة ٢٤٥

العبادة : من قرى المرج

العبادية : هي شمال غربي العتيبة ذكرها ياقوت ٣/ ٥٩٩ و Dussaud ص ٢٩٣ و . Le Str ص ٣٨٢

الفسولية : هي جنوب شرقي سكاء

القصرين : قال دوسوص ٣٠٩ : هي قرب بحيرة الهيجانة بجانبها تل المسطبة ذو الآثار القديمة

قرحتا : شمال غرب الغزلانية ذكرها ياقوت و . Le Str ص ٤٧٩ Sauvaire 1894,II,237 و Porter ١/٣٩٣

القاسمية : جنوب الجرباء وربما اعتبرت من قري المرج وبها مسجد لطيف وقال دوسو ص ٣٠٩ : هي شرقي تل الصالحية

كفر بطنا : قال دوسو ص ٣٠٤ : هي من اقليم داعية شرقي حمورية انظر ياقوت ٤ ص ٢٨٦ و .Le Str ص ٤٦٩

مَسرابا : ذكرها ياقوت وقال ان ابن عساكر ذكرها في تاريخه ونسب اليها احمد بن ضياء المسرابي وبها جامع حسن .

مَدَيرا : لم يذكرها ياقوت وانما ذكرت في السالنامة وهي شرقي دوما وقال دوسو ص ٣٠٥ : ينبغي أن يفرق بينها وبين معديرا

المرج : قال دوسو ص ٣٠٦ : هي المراعي التي تحيط بالغوطة وأشهرها مرج عذراوجنوبيه مرج راهط وقد أطال في كلامه عنها ص ٣٠٦ و ٣٠٧

النشابية : هي شرقي تل الصالحية وبها مسجد لطيف

نولا : هي جنوب حرستا القنطرة (يقال لها اليوم نولة)

النحاسية : 〃 〃 〃 〃 〃

(ب)

الأبرشية : يقول Dussand ص ٢٩٣ : ينبغي البحث عنها حول دمشق أو لعلها خارج الغوطة انظر ياقوت ٥/١١ و Le Str. ص ٣٨٢ [1]

أرض عاتكة : هي عاتكة بنت يزيد بن معاوية . كانت قرية خارج باب الجابية ولعاتكة قصر فيها انظر Dussaud ص ٢٩٤

أرض الأوزاع : دخلت في دمشق من جهة باب الفراديس انظر Dussaud ص ٢٩٤

بيت سابا : قال ياقوت : من اقليم بيت الآبار عند جرمانس وكان ليزيد ابن معاوية بها قصر انظر Dussaud ص ٢٩٥

بيت الآبار : جمع بئر قال ياقوت : من غوطة دمشق كورة فيها عدة قرى خرج منها غير واحد من أهل العلم وقال دوسو ص ٢٩٤ محلها مجهول

بيت قوفا : قال ياقوت : من قرى الغوطة نسب اليها بعضهم قوفانياً ذكرها دوسو ص ٢٩٥ ولم يعرف موضعها

بجّ حوران : ذكرها ياقوت ٤٩٦/١ وقال دوسو ص ٢٩٤ : انها مجهولة عندي وينبغي ان تكون في اقليم باناس عند باب دمشق (؟)

تقلبين : قال ياقوت : موضع في غوطة دمشق قال احمد بن منير :
فالقصر فالمرج فالميدان فالشرف الأعـــــلى فسطرا فجرمانا فقلبين [2]

تلفياثا : قال ياقوت من قرى الغوطة ورد ذكرها في حديث ابي العميطير انظر دوسو ص ٣١٢

جامع : ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها ويقول دوسو ص ٢٩٩ هي من قرى المرج وانظر Le Str. ص ٤٦١

حرلان : يقول دوسو ص ٣٠٢ : ذكرها ياقوت وقال انها من الغوطة وفيها

---

(١) وهي داخلة اليوم في أرض حوش الريحان من قري المرج (المجمع العلمي العربي)

(٢) يذكر ياقوت قرية في الغوطة باسم (تلبين) [بالتاء] ولا شك في انه اختلط عليه الأمر فذكرها في الموضعين .

مات جان اسقف زيزا (؟) والأستاذ Honigmann يعتقد انها مأخوذة من الكلمة اليونانية [ʼΑρλνη] وقد ترددت هذه الكلمة مرات في كتاب ياقوت وصححها الناشر بكلمة [خولان] وقد أطال دوسو في الكلام عنها وعن تاريخها وتحريف اسمها فارجع اليه اذا شئت [1]

حَلَفْيَاتَا : ذكرها ياقوت ولم يعين الموضع وقال ان فيها قبر كناز الصحابي وانظر دوسو ص ٣٠١ و .Le Str ص ٤٤٧

حميربين : ذكرها ياقوت وقال انهـا قرية متهدمة وانها على طريق كفرسوسية وقال دوسو ص ٣٠٢ وربما كانت في ضواحي دمشق

حوش الصالحية : ذكرها دوسو وقال لعلها هي تل الصالحية انظر ص ٣٠٢

〃 المأمونية : 〃 〃 ولم يعين موضعها 〃 〃

〃 الخياط : 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃 〃

〃 خميسيني : 〃 〃 〃 〃 〃 〃 ص ٣٠٥ وذكرها 1894,II,260 Sauvaire

دير أبان : ذكره ياقوت وقال نقلاً عن ابن عساكر : انه ابان بن عثمان بن حرب وانه كان يسكن عند قرحتا وذكره دوسو ص ٢٩٧ ولم يعين موضعه و .Le Str ص ٤٢٧

دير بشر : ذكره ياقوت وهو غربي جحيرا وذكره دوسو ص ٢٩٧ و .Le Str ص ٤٢٨

دير بُونّا : 〃 〃 وقال هو بجانب الغوطة في انزه مكان وهو اقدم ابنية النصارى يقال انه على عهد المسيح او بعده بقليل وهو صغير ورهبانه قليلون ذكره دوسو ص ٢٩٧ و .Le Str ص ٤٢٨

دير حنينة : وقال هو قرب دمشق ولم يعين موضع وكذلك دوسو ص ٢٩٧ و .Le Str ص ٤٢٩

---

(١) ولعلها حردان فان نهر حردان فوق سقبا (المجمع).

دير فَطْرُس ودير بُوْلَس : ذكرهما ياقوت وقال: قال ابو الفرج هذان الديران بظاهر دمشق بنواحي بني حنيفة من ناحية للغوطة وانظر دوسوص ٢٩٧

دير قيس : قال ياقوت : هو بالغوطة من مساكن خولان وقد بحث دوسو ص ٢٩٨ في كلمة (خولان) بحثاً مطولاً فارجع اليه ·

دير صليبا : انظر دير خالد الآتي ·

دير محمد : قال ياقوت: من نواحي دمشق · وقال ابن عساكر : هو محمد بن الوليد الأموي واليه تنسب المحمديات [انظر هذه الكلمة] التي فوق الارزة ، ودير محمد الذي عند المنيحة من اقليم بيت الآبار · وانظر دوسوص ٢٩٨

دير مران : قال ياقوت: بالقرب من باب الفراديس مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة انظر دوسو ص ٢٩٨

دير خالد : قال ياقوت: وكان يسمى قبل نزول خالد بن الوليد بدير صليبا · أقول: وموضع هذا الدير خارج بابي توما والشرقي ولا يزال أثر هذا الدير في مسجد يسمى بمسجد خالد أو الخالديات أمام ضريح الشيخ رسلان · انظر كتابنا ثمار المقاصد وانظر كتاب دوسوص ٢٩٧ و Le Str. ص ٣٤٠

دير هند : قال ياقوت : من قرى غوطة دمشق من اقليم بيت الآبار · انظر دوسو ص ٢٩٧ و Le Srt. ص ٤٣٩

دير زكا : ذكره دوسو نقلاً عن ياقوت في ص ٢٩٨ ولم يعين موضعه · اقول ولعله محرف عن (دير سكا) انظر هذه الكلمة

رحبة خالد : قال ياقوت : قرية من قراها بينها وبين دمشق ميل خربت · وقال دوسو: ولعلها رحبة خالد المعروفة بدمشق · انظر كتابنا ثمار المقاصد

السفليون : ذكرها ياقوت ولم يعين موضعها وذكرها دوسو ص ٣١٢ و Le Str. ص ٥٣٧

سام : (بالسين) ذكرها ياقوت وقال هي بالغوطة قرب دمشق وان الحافظ ابا القاسم بن عساكر كان يسكنها وانظر ما قال دوسو عنها ص ٣١١ و Le Str. ص ٥٣٠

ساقي : ذكرها ياقوت ٣/١٠٥ و Le Str. ص ٥٢٨ ودوسو ص ٣١٢ ولم يعينوا موضعها

السطح : ذكرها ياقوت ٣/ ٩٠ وقال : هي في الغوطة شمال باب توما في منطقة بيت لهيا ، وهناك قرية أخرى بهذا الاسم بين الكسوة وغباغب ذكرها دوسو ص ٣١٢ و Le Str. ص ٥٢٨

سطرا : ذكرها ياقوت ٣/٩٠ و Le Str. ص ٥٢٨ ودوسو ص ٣١٢ حيث يقول انها في منطقة سطح من بيت لهيا وقد خربت . انظر Sauvaire 216 ,II , 1894 وانظر أيضاً (مقرا)

صبيبة : ذكرها دوسو ص ٣١٢ وقال : انها تسمى أيضاً قرية تميم .

طرميس : ذكرهاياقوت ولم يعين موضعها . انظر ما قال دوسو عنها وعن اسمها ص ٣١٢

طـيرا : ذكرها ″ ″ ″

الفضليّة : ذكرها دوسو ص ٣٠١ . وفي السالنامة لها ذكر انظر Sauvaire 238 ,II . ويقول دوسو : لعلها القرية التي يذكرها Sauvaire عند الميدان باسم الفصيلة[(١)] .

فذايا : قال ياقوت : هدمت منذ زمن طويل وقال دوسو ص ٣٠١ كانت فوق مقبرة اليهود انظر Le Str. ص ٤٣٨ و Sauvaire 212 II .

الفندق : قال ياقوت : هي من قرى الغوطة وقال دوسو ص ٣٠١ لم اهتد الى محلها وانظر Le Str. ص ٤٣٩

قرية تميم : وهي الطيبة ذكرها دوسو ص ٣١٢ ولم يعين موضعها .

قرية الحميرا : ذكرها صاحب مراصد الاطلاع ٢/٤٠٤ وقال دوسو ص ٣٠٩ لم أهتد الى محلها وانظر Le Str. ص ٤٨١

قصر بني عمر : ذكرها ياقوت ٤/ ١١٠ و Le Str. ص ٤٨٢ وقال دوسو ص ٣٠٩ لم أهتد اليه .

---

(١) ولعلها الفضالية قرب حوش المتين [المجمع العلمي العربي] .

قصر اللباد: ذكره Sauvaire 402 I 1894 وقال دوسو ص ٣٠٩ : قال بعضهم هو دير وقال آخرون هو قرية خربة شرقي مقرا

الماطرون: قال ياقوت : من قرى دمشق ولم يعين موضعها وقال دوسو ص ٣٠٦ هو حول دمشق · انظر .Le Str ص ٥٠٨

المصيصة : قال ياقوت : من قرى غوطة دمشق كانت شرقي بيت لهيا ذكرها دوسو ص ٣٠٦ و .Le Str ص ٥٠٨

المسعودية : يقول دوسو ص ٣٠٦: هي في المرج ورد ذكرها في بعض الكتابات الحجرية فقط ·

ميدعا : غربي البحيرة ذكرها دوسو ص ٣٠٦ وقال ان ياقوت قال انها في منطقة خولان ·

الميطور : قال ياقوت : من قرى دمشق قال عرقلة الدمشقي :

وكم ليلة بالماطرون قطعتها ويوم الى الميطور وهو مطير

النمرانية : قال ياقوت هي منسوبة الى نمران بن زيد وقد أقطعها اياه معاوية

م . أسعد طلس

القنصل الأول في المفوضية السورية بطهران

تصويبات لأخطاء وقعت في القسم الأول :

١ : صفحة (١٤٩) سطر : ٢٢ (حرستا القنطرة)

٢ : « (١٥٥) « ٦ (المَقَل)

مخطوطات ومطبوعات

موجز الاقتصاد السياسي

تأليف الدكتور احمد السمان

أستاذ الاقتصاد السياسي في معهد الحقوق العربي بدمشق

صفحات هذا الكتاب ثلاث مئة واربع صفحات من القطع المتوسط

وطأ الدكتور السمان لكتابه بمقدمة بحث فيها عن علم الاقتصاد: اصله، وتعريفه، وتصنيفه. فكان من جملة ما قال فيه: «انه علم جديد، وضعه المؤلفون في فجر النهضة الحديثة، وليس هذا يعني ان أبحاثه لم تطرق من قبل، فقد عرفت المدنيات القديمة حياة اقتصادية باهرة، وأبحاثاً اقتصادية هامة. وقد ترك لنا ارسطو واورسم أبحاثاً بارعة في النقد. ثم ان التراث العلمي العربي طافح بالكثير من الأبحاث الاقتصادية الصرفة، ولا سيا مقدمة ابن خلدون، ومؤلفات المقريزي، وابن الهيثم، ويمتاز ابن خلدون بوضعه نواميس ونظريات عامة للشؤون الاقتصادية لم تفقد الى اليوم روعتها وجلالها ... ولكننا إذ نقول: ان الاقتصاد علم جديد، نذهب الى انه أصبح علماً مستقلاً ذا طرائق وأساليب ونظريات خاصة، منذ القرن السابع عشر، اي منذ الانقلاب التجاري الذي عم العالم، بعد اكتشاف العالم الجديد». وأشار المؤلف في مقدمته هذه الى المراحل التي مرت على الاقتصاد من: قيد أو اطلاق.

وانتهى من مقدمته هذه الى البحث في بيئة الحياة الاقتصادية، من حيث اختلاف عناصرها: الطبيعية، والحقوقية، والفنية، والبشرية. وعرض لتقسيم العمل وتطوره وأشكاله؛ وللتنظيم العملي للعمل، ولاستخدام الآلات ونتائجه؛ وللنطاق البشري؛ وللهجرة اوأسبابها ونتائجها؛ وللاكراه الاقتصادي، وما يتفرع عنه من نظام

الطبقات ، ونظام الأصناف ، ونظام الحرية الاقتصادية ومستلزماتها ، والملكية الخاصة او وسائل الانتاج . وهو القسم الأول من الكتاب .

وأما القسم الثاني فقد تناول : النقد وأصوله ، من عهد المقايضة الى عهد النقد المعدني ؛ فالنقد الورقي واصله، واصداره، ورقابة الحكومة ، والصك (وهو الشك [1]) وطريقته والتضخم النقدي . وتعرض لاصلاح أنظمة النقد ، وللحلول التي تراها بعض الحكومات . وأشار في أحد فصول هذا القسم الى انفصال الليرة الاسترلينية عن الذهب في سنة ١٩٣١ . وما كان من نتائج ذلك ومن اثره في الحياة الاقتصادية البريطانية ، ثم ما كان من ذلك يوم انفصل الدولار عن الذهب في سنة ١٩٣٣ . وختم أبحاثه بالأسعار وقانون العرض والطلب ، والعلاقة بينهما بين الأسعار . وقرب هذه الأبحاث الى الأذهان بجداول رقمية ، وعزز كثيراً من أقواله بأقوال مشهوري علماء الاقتصاد وآرائهم وأنظارهم .

عارف النكدي

---

(١) قلنا : الشك [chèque] كلمة فرنسية ، قالت معاجم هذه اللغة : انها منقولة عن الانكليزية ، وقالت هذه : انها منقولة عن الفرنسية القديمة أو العربية أو الفارسية . وفي الحق أن اللفظة قديمة في العربية وهي منقولة اليها عن الفارسية . وفي لسان العرب : والصك : الكتاب ، فارسي معرب وجمعه : أصُك ، وصكوك وصكاك . قال أبو منصور : والصك الذي يكتب للعُهدة ، معرب ، أصله [چك] ويجمع صكاكاً وصكوكاً . وكانت الأرزاق تسمى صكاكاً لأنها كانت تخرج مكتوبة . ومنه الحديث في النهي عن شراء الصكاك والقطوط . وفي حديث أبي هريرة ؛ قال لمروان : أحللت بيع الصكاك ؟ وهي جمع صك وهو الكتاب ، وذلك ان الأمراء كانوا يكتبون للناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً فيبيعون ما فيها قبل أن يقبضوها معجلاً ويعطون المشتري الصك ليمضي ويقبضه ، فنهوا عن ذلك لأنه بيع ما لم يقبض) فاستعمال الصك (للشك) هو رجع الشيء الى أصله ، واستعمال في محله .

الوقائع والنظريات الاقتصادية في العصر الحديث

تأليف الدكتور احمد السمان

وهذا كتاب آخر للدكتور السمان ، يقع في ثلاث مئة وست وعشرين صفحة من القطع المتوسط . بسط فيه المؤلف الوقائع والأنظار الاقتصادية في العصر الحديث . والأستاذ راض عن كتابه هذا ، وهو يعده خير كتاب وضعه . والكتاب أقسام ثلاثة ، تنطوي على أبواب ثم فصول .

فالقسم الأول ، من أبحاثه : الحياة الاقتصادية في القرون الوسطى ، صدر كلامه فيها بكلمة ممتعة منها : وبكاد المؤرخون يجمعون على ان أظلم فترة في تاريخ أوربة تقع في صدور القرون الوسطى (القرن الخامس حتى الحادي عشر) فقد ساد اوربة ليل طويل لا يشع فيه فكر ، ولا يلمع فيه قبس من حياة . وقضت الغزوات الجرمانية على الحضارة الرومانية ، واعقب السلطان السياسي الموحد الوف من الاستقلالات المحلية الاقطاعية . »

وبعد ان يلقي المؤلف نظرة عاجلة على الوضع الاقطاعي الداخلي في اوربة ، يخلص منه الى الناحية الخارجية فيقول : « اما من الوجهة الخارجية فمع القرون الوسطى تبدأ سيادة العرب البحرية في المتوسط ، اذ تطلع المسلمون لتكوين قوة بحرية تنزع السيادة من بيزنطية وتعينهم على اخذ نصيبها من تجارة العالم . ففي عهد معاوية الأول احتلوا قبرص (٦٦٠) وظفروا بالأسطول البيزنطي في واقعة ذات السواري التي أتاحت لهم فتح رودس ، وبلغوا حتى اقريطش . ثم سارت الأساطيل من المهدية في افريقية ومن الأندلس تنتزع الجزر والسواحل ، وتشد أزر الجيوش البرية التي تغزو سواحل فرنسة الجنوبية (٧٣٢) . ثم يعيدون الكرة بعد مقتل عبد الرحمن الغافقي فيحتلون شاطئ البروفانس ، ويستمر هجومهم على صقلية طويلاً (٧٢٠ — ٧٥٣) ثم يحتلها الاغالبة ويحتلون الباليار (٧٩٨)

ويحتلون مسينة بمعاونة النابوليين (٨٣١) ثم يغزون ساحل ابتالية ، وينزلون في تارنتة (٨٣٨) ثم في باري بعد تحطيم اسطول البندقية وبيزنطية (٨٤٠) ويصلون في منتصف القرن التاسع الى غزو ابتالية الوسطى ، ويقفون أمام أسوار رومة وكنيسة القديس بطرس (٨٤٦) ويبقون محتفظين بنفوذهم في البحر حتى القرن الحادي عشر ، حين بدأت سفن الصليبيين تحتل جزر البحر المتوسط وشواطئه» .

وينقل قول ابن خلدون في هذه الفتوحات العربية ، ثم ينتهي من هذا التمهيد الى وصف الحالة الاقتصادية فيقول :

«كان الاسلام في هذا العهد يؤلف عالماً لوحده (وكان العراق عين الدنيا) كما يقول الثعالبي . وكان المسلمون بعد ان مركزوا اعلامهم على اقسام العالم الثلاثة . واطمأنوا الى الفتح ، فكروا في المساهمة بخيرات العالم وتجاراته ، ونسوا زهدهم الماضي ، وأقبلوا على الترف والبذخ ، فبدأت النهضة التجارية في العهد العباسي . .»

ويمضي المؤلف في وصف مدن العرب وأسواقهم التجارية في تلك الايام وصفاً تاريخياً علمياً ، لا نجيز لأنفسنا ان نختصر شيئاً منه ، مخافة ان نفكك هذه الحلقات الاقتصادية التي يبسطها المؤلف بسطاً متصلا متسلسلاً ، فنشوه من محاسنها ، ولا المقام يتسع فنأتي بها منقولة بجملتها ، بل حسبنا ان نحيل القارئ الى الكتاب نفسه ، يغترف من مائه العذب ، وحقائقه العلمية .

وينتقل الأستاذ السمان بقرائه من عصر اقتصادي الى عصر ، ومن انقلاب الى انقلاب . يبحث الانقلاب النقدي ، والاستعمار الاقتصادي الأوربي : دولة دولة ، وقرناً بعد قرن . ويعرج على اميركة فيذكر اكتشافها وأثره في الحياة الأوربية ، والتطور الصناعي : مراحله ومظاهره وأسبابه ومسبباته ، وأثر الآلات فيه ؛ والمواصلات ووسائلها ، والأسباب الاقتصادية وعواملها الأساسية . والانقلاب الحقوقي ، والحريات : الشخصية والاقتصادية والتجارية ، وحق الملك ، والرأسمالية ، وتفوق بعض الدول واسبابه ؛ وتحول الاقتصاد من قومي الى عالمي .

وفي القسم الثاني : شرح الأزمة الاقتصادية الحديثة وعواملها ، وخلل التوازن

والعقبات الكمركية[1] والنقدية والمالية، ويبسط بعض المذاهب الاقتصادية بما لها وما عليها.

وفي القسم الثالث : عالج اصلاح النظام الاقتصادي الحديث في مختلف وجهاته عند كثير من الدول .

فمباحث الكتاب كلها قيمة . وهي مما نحتاج اليه في نهضتنا الحاضرة ، اذ النهضة لا تكون صحيحة إلا اذا هي قامت على دعامة ثابتة من الاقتصاد .

والشيء الذي كنا نرجو ان يهتم له الأستاذ ، فيتبسط فيه ، هو وضعنا الاقتصادي الحاضر : علله وأدواؤه ، فيوفي الموضوع الاقتصادي العربي حقه في حاضره ، كما وفاه حقه في غابره . وعسى ان يفعل ذلك في طبعة جديدة .

اننا نشكر للأستاذ فضله وجهده ، ونشاركه رأيه في كتابه بأنه امير كتبه ، بل هو من عيون الكتب التي ألفت في هذا الباب عندنا .

ع . ن

الياذة هوميروس

كتاب من القطع المتوسط ، يقع في قرابة ثلاث مئة صفحة ، وضعه بالانكليزية (الفرد تشرشل) أستاذ اللغة اللاتينية في جامعة لندن ، ونقلته الى العربية السيدة عنبرة سلام الخالدي .

والياذة هوميروس من الشهرة بالمنزلة التي لا تحتاج معها الى وصف ولا تعريف ، فهي على ما جاء في التمهيد التاريخي الذي قدم الكتاب به : اول الشعر القديم وأعظمه ، ولعلها أعظم شعر على الاطلاق ، قديماً كان أو حديثاً .

وقد فصل هذا التمهيد الموفق ، موضوع هذه الملحمة . وهو يدور على الحوادث

(١) استعمل المؤلف [الجرك] بالجيم متابعة لما جرت عليه الصحافة والدوائر الحكومية عندنا تقليداً أعمى لمصر . والذي نعرفه وكنا عليه الى ما قبل هذه الأيام الأخيرة ، في قوانيننا ، وفي استعمالنا لفظاً وكتابة ، أن نكتب الكمرك بالكاف لا بالجيم . والكلمة فارسية أخذها الترك بلفظها الأصلي أي الكاف الفارسية [گ] وهي تلفظ ما بين الكاف والغين كالـ[g] الفرنجية ، ومن حق المصريين أن يكتبوها بالجيم ، فتبقى على لفظها الأصلي . ولا وجه لكتابتها عندنا بغير الكاف .

التي وقعت نحو سنة ١٢٠٠ او ١١٠٠ قبل الميلاد . اثناء حرب نشبت حول مدينة اليون - وهي الحرب المشهورة بحرب طروادة .

وذكر كذلك الممالك التي كانت قائمة في ذلك العهد . وما كان فيها من شعوب ، وما كانت لهم من لغات .

وقد وفقت السيدة الخالدية في ترجمتها توفيقاً تشكر عليه . اذ جاءت عبارتها جلية واضحة ، دلت على طول باعها في الترجمة ، كما عرفت من قبل بالأدب والفضل .

ع . ن

كتاب المؤتمر الأول للمحامين العرب

طبعته نقابة المحامين بدمشق

كان من أعمال الأستاذ مظهر القوتلي الرائعة أيام كان نقيب المحامين بدمشق ، ان دعا الى عقد مؤتمر يجمع المحامين العرب ، الغرض منه دراسة عملية قومية لتوحيد الاتجاه في التشريع ، وانسجام الأوضاع الحقوقية في البلاد العربية .

وقد تم الأمر على خير وجه ، فوفق المؤتمر توفيقاً كبيراً في ترتيبه وتنظيمه . وضم النخبة المختارة من المحامين العرب في الشام : سورية ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، ولبنان ، وفي مصر والعراق ، وألقيت المحاضرات الممتعة في الجلسات الست التي عقدها المؤتمر .

دارت الأبحاث في الجلسة الأولى ، على الصلات القضائية بين البلدان العربية ، وفي الجلسة الثانية على الحقوق التجارية ، وفي الثالثة على الحقوق المدنية ، وفي الرابعة على توحيد المصطلحات الحقوقية ، والخامسة على الوضع المسلكي للمحاماة ، ثم كانت الجلسة الختامية التي انتهت بقرارات المؤتمر الأول للمحامين .

ثم كان بعد ذلك ماذا ؟

كان لاشيء ، فلا القوانين العربية المختلفة درست دراسة تقرب مسافة الخلف بينها ، ولا المصطلحات وحدت ، فأثبتنا مرة أخرى ، ان هذه الشعوب العربية ، أمة تحسن القول ، ولا تحسن العمل .

ع . ن

سلسلة الفكر الحديث (٧)

عصر الخرافة الذي نعيش فيه

الكتاب الأول

تأليف : جستاف شتلبر ، تعريب : محمد علي أبودرة ومحمد بكير خليل

راجعه : محمد عبد الواحد خلاف

جاء في مقدمة التعريب ان الدكتور « جستاف شتلبر » المستشار الاقتصادي في مدينة نيويورك قد تمكن بسبب حياته الحافلة من الالمام التام بالأوضاع الاقتصادية والسياسية في أوربة وأميركة فهو خير من يعالج هذه الموضوعات .

تصدّى المؤلف في كتابه الأول للمذاهب والنظريات السياسية والاقتصادية التي يموج بها العالم وتتصارع الدول من أجلها فيردها الى اصولها ويبين الأدوار التي مرّت بها وهو يحرص الحرص كله على ان يكشف عما تشتمل عليه هذه المذاهب والنظريات من زيغ وخرافة ولكنه يميل الى التهكم والهدم .

لا يؤمن المؤلف بالاشتراكية أو وضع خطط تنظم حياة الفرد وتمكن الدولة من السيطرة عليها وانما يرضى بشيء يسير من تدخل الحكومة لتوفر للفرد قسطاً من السعادة أوفر ، وهو يؤمن أشد الايمان بالحرية الفردية ويدافع عن الرأسمالية الحرّة متصوراً اياها انها النظام القويم والأساس السليم الذي يمكن ان يبنى عليه عالم تشيع فيه السعادة والثقة والطمأنينة والأمن والسلام ، وهو مع هذا كله لم يحجم عن بيان مثالب الرأسمالية وشوائبها ولو سلمت من هذه المثالب والشوائب لكانت نظاماً مثالياً رائعاً .

والكتاب يتضمن ثمانية فصول تصوّر أعظم ماله صلة بحياتنا الاقتصادية والسياسية .

شفيق جبري

سلسلة الفكر الحديث (٨)

عصر الخرافة الذي نعيش فيه

الكتاب الثاني

تأليف : جستاف شتلبر . تعريب : محمد علي أبو درة ومحمد بكير خليل

راجعه محمد عبد الواحد خلاف

يشتمل الكتاب الثاني من عصر الخرافة على سبعة فصول وهي تتمة ما اشتمل عليه الكتاب الأول من المذاهب والنظريات الاقتصادية والسياسية .

تبحث هذه الفصول عن الدول المحدودة والدول المحرومة وعن الأسباب الاقتصادية للحرب وعن الامبراطورية البريطانية وعن التنظيم السوفييتي وعن المعجزة الألمانية وعن الديمقراطية المزيلة والدكتاتورية القوية والفصل الثالث عنوانه هل تسير انجلترة الى الوراء .

والكتاب الثاني مثل الكتاب الأول في التعرض لبعض الأفكار المسيطرة على العقول وهي بمنزلة الخرافات ، فالمؤلف يقضي على هذه الأوهام ويرد الأمور الى مستقرها ، من ذلك الخرافة الوارد ذكرها في الفصل الأول وهي خرافة الذهب والعمل ، فبعض الدول تتهم بريطانية بالتمسك بمعيار الذهب مع انها خرجت عن قاعدة الذهب في حرب ١٩١٤ ورهنت كل ما تملكه من الذهب .

وهكذا شأن المؤلف في الموضوعات التي عالجها فانه يبين الخرافات الاقتصادية والسياسية المسيطرة على العقول في عصرنا هذا ثم يهدي الناس سواء السبيل فيها .

ش . ج

سلسلة الفكر الحديث (٩)

كيف يعمل العقل (الكتاب الأول)

تعريب : الدكتور رياض عسكر

تضافر على وضع هذا الكتاب نخبة صالحة من أكبر علماء النفس البريطانيين ،

وقد تفرغ كل واحدٍ منهم للموضوع الذي اختص به فأصبح الكتاب بهذا العمل عمدة ، كان الكتاب في الأصل محاضرات ألقيت في دار الاذاعة البريطانية ثم جمعت فجاءت خالية من المصطلحات المعقدة والمشاكل العويصة فلا يحتاج فيها القارئ الى عناء الذهن فقد يسهل عليه إدراك كل ما له صلة بالمسائل التي تجول في خاطر الانسان وتمس تفكيره ومشاعره وعواطفه ، أي حالته النفسية بأجمعها .

هذا ما أشار اليه معرّب الكتاب الدكتور رياض عسكر في المقدمة ومما يزيد في الثقة بالتعريب ان الكتاب قسم قسمين ، عرّب الدكتور عسكر قسماً وعرّب الأستاذ محمد خلف الله قسماً وراجع كل واحدٍ منهما ما عرّبه الآخر توخياً للدقة والضبط .

يشتمل الكتاب على عشرة فصول تعاون على كتابتها ثلاثة أساتيذ : الاول أستاذ علم النفس بجامعة لندن والثاني رئيس المجمع الدولي للتحليل النفسي والثالث الرئيس الفخري لعيادة شرق لندن السيكولوجية لإرشاد الأطفال ، عرّب الدكتور عسكر الفصول الثمانية وعرّب الأستاذ محمد خلف الله الفصلين التاسع والعاشر . وهذه هي موضوعات الفصول : يبحث الكتاب الأول عن الحياة العقلية — شعورية ولا شعورية — عند الكبير ، فيبين الطرق التي تستعمل في دراسة عقول الآخرين وفي دراسة المرء لعقله ويصوّر الأسس التي يقوم عليها التحليل النفسي وآثار العقل الباطن في الحياة الانسانية ويبحث عن الأحلام وما لها من دلالات ، وعن عقل الطفل وما يزوّد به منذ نشأته من ميل وقوة وما لبيئة الأسرة من أثر في تكييف سلوكه وعن مخاوف الأطفال ولعبهم وعمل الغريزة والعادة في حياتهم .

هذا الوصف الظاهر للكتاب أما قيمته فلا يمكن تلخيصها في سطور فلا بدّ للقارئ من قراءة الفصول كلها حتى يعرف عظمة الموضوعات النفسية فيها وبساطة عرضها وتصويرها .

شي . ج

سلسلة الفكر الحديث (٥ أ ١)

كيف يعمل العقل (الكتاب الثاني)

تعريب محمد خلف الله

انفرد بوضع هذا الكتاب الدكتور « سرل برت » أستاذ علم النفس بجامعة لندن وعرّبه الأستاذ محمد خلف الله والمعرّب قرأ في الأصل على الدكتور « برت » فعرف في أسلوبه دقة العلم ورقة الفن وفي شخصيته حسن المحاضرة وجاذبية الحديث على نحو ماقال ٠

واذا أراد القارئ ان يعرف طابع الكتابين ، الأول والثاني فليقرأ ما كتبه الدكتور « برت » في المقدمة :

« كان غرضنا الأساسي أن نبين في أمثلة بسيطة وعبارة واضحة كيف نما الاهتمام بفهم طرائق العقل الانساني في سلوكه حتى أصبح دراسة علمية جادّة وأن نعرض الآثار التطبيقية لنتائج هذه الدراسة على معضلات الحياة اليومية ، ان المدنية الحديثة قائمة على العلم واذا كان يراد لها ان تستمر فيجب ان يوجه التفكير العلمي الى دراسة الانسان كما وجه من قبل الى دراسة الطبيعة غير الحية » ٠

أشار الأستاذ خلف الله الى الموضوعات التي عالجها « برت » في الكتاب الثاني فقد عالج أهم نواحي الحياة الاجتماعية واختار من بين هذه النواحي ميادين الفروق العقلية بين الشعوب والطوائف الاجتماعية والجنسين ، وعالج الأسس العقلية العامة في السياسة والفن والدين ونبه على ان هذه المعضلات لكل انسان من التفكير فيها نصيبه ورأيه ولكن الدراسات العلمية الحديثة قد أخضعت كثيراً من ظواهرها للبحث والتجريب وكانت مهمة واضع الكتاب كما يقول ان يصف في اختصار احدث نتائج هذه الدراسات وأجدرها بالاعتبار وان يبين الاتجاه الذي تتجه اليه المباحث الحاضرة فيها

وما أصدق ما تمناه المعرّب في آخر المقدمة اذ قال : ولعلّ نقل أمثال هذه البحوث الى العربية يحدث أثره المطلوب في توجيه الانتباه في مصر والشرق العربي الى دراسة الانسان دراسة علمية منظمة والى اقامة نواحي الحياة من سياسة واصلاح واجتماع على أسس الفطرة القوية كما يكشف عنها البحث العلمي الصحيح ٠

ش ٠ ج

بين العلم والأدب

قدري حافظ طوقان

جمع الأستاذ قدري حافظ طوقان ما نشره من المقالات في طائفة من المجلات وما ألقاه وأذاعه من الأحاديث في بعض دور الاذاعة في كتاب سماه : بين العلم والأدب ، وأمله الوحيد ان يرى المتعلمون والمثقفون في هذا الكتاب عاملاً من العوامل التي تعينهم على تحقيق رسالتهم القومية ، وان يجد فيه النشء ما يحملهم على السير في الحياة على أسس من الخلق المتين والاخلاص للحق والحقيقة .

وسواء أعالج بعض موضوعات الرياضيات والطبيعيات أم عالج بعض الموضوعات الفكرية انه توخى السهولة في كل ما كتبه حتى تكون العلوم قريبة من الأذهان خالية من التعقيد بحيث تدركها العقول دون شيء من العناء .

ولقد وقفت على مقالة : الى المتعلمين والمثقفين فشاهدت ما شاهده المؤلف نفسه فإن أكثر الذين يحملون الشهادات من طبقة الأطباء والمحامين والمهندسين وغيرهم يقولون للكتب العلمية بعد حصولهم على هذه الشهادات : هذا آخر عهد بيننا وبينك ! فكأنهم لا يدرون ان في كل يوم اختراعاً ومذهباً حديثاً وان العلم لا يقف عند حد من الحدود ، فما يكون في الطب ضاراً في هذا اليوم فقد يصبح نافعاً غداً وما يكون في العلم وهماً فقد يصبح حقيقة فالذي لا يتتبع العلم وأطواره ويقتصر على حمل الشهادة فهذا قد انقطعت الصلة بينه وبين سير العلم .

وعلى الجملة فان كتاب الاستاذ حافظ قدري طوقان ينفخ في القرّاء روح العلم ويحببهم اليه .

ش . ج

نهضة العراق الأدبية في القرن التاسع عشر

محمد مهدي البصير

يحتوي هذا الكتاب على خمسة وأربعين حديثاً اذاعها صاحبها الأستاذ محمد مهدي البصير من دار الاذاعة العراقية ومن دار الاذاعة في يافا .

تتضمن هذه الأحاديث تراجم ثمانية وعشرين شاعراً عراقياً ، وقد عانى المؤلف ما عاناه في سبيل الحصول عليها لأن تأريخ أصحاب هذه التراجم غامض وأحوالهم غير معروفة على صورة واضحة فمنهم من كانت تراجمهم مطولة حافلة ولكنها متناقضة مضطربة ومنهم من كانت تراجمهم مختصرة ومنهم من ليس له ترجمة فاعتمد المؤلف في دراسة حياتهم على آثارهم قبل كل شيء . وقد نظر في التراجم المطولة المتناقضة والمختصرة المقتضبة فاستخلص منها ما يمكن استخلاصه مما له قيمة تأريخية وعمد الى الأخبار فمحصها حتى يكاد القارئ يستطيع ان يجد في الكتاب على قدر الامكان صورة واضحة لأصحاب التراجم .

أما شعر الشعراء الواردة تراجمهم فيغلب عليه طابع عراقي وأعني بهذا الطابع حسن الديباجة حتى كاد بعض النقاد يفضلون طائفة من الشعراء الذين ترجم لهم المؤلف على المتنبي والمعري والشريف الرضي وفي هذا شيء من الشطط فان هؤلاء الشعراء ما استضاؤا إلا بضياء الشريف الرضي وأمثاله ولا غرفوا إلاّ من بحره .

ش . ج

خيالات

رياض معلوف

أهدى الشاعر خيالاته الى بلاده والى أبيه وأمه .

أما بلاده وهي لبنان فقد وجدت لها أثراً في هذه الخيالات تدل على وصف صادق لها وعلى حب أصدق .

وأما أبوه وأمه فلم أجد لهما صورة في شعره ، وانما وجدت صورة لأخيه المرحوم فوزي المعلوف تنم عن مقدار حزنه عليه وما أحلى هذه اليمين التي حلفها :

فوزي ! وحق ثراك والأخلاق والوجه الصبيح !

وعلى الجملة فإن هذه الخيالات لا تخلو من صورٍ حيةٍ تدل على نفس شاعرة وروح رقيقة وذوقٍ لا يشبه هذه الأذواق الحديثة الغريبة .

واذا لم أجد بداً من ذكر نموذج من أبياته فهذه أبيات وقعت عليها عرضاً في خيالاته ولم أجهد في التفتيش عنها .

من قصيدة عنوانها : غنِ يا عصفور !

فأرى شدوك شدوي وأرى لحنك لحني

ليت قلبي في جناحيك وفي المنقار سني

غنِ يا عصفور غني ثم طِر عنك وعني

ش ج

ميسلون

بدر الدين الحامد

أظن ان الشعر العربي لم يؤهل بعدُ للروايات التمثيلية التي أُهل لها الشعر الغربي ولذلك فإننا نجد ان الشاعر اذا وضع رواية تمثيلية مثل الرواية التي وضعها الأستاذ بدر الدين الحامد وسماها ميسلون ووصف فيها فجيعة اهل الشام بوطنهم اعترضته عقبات لا يجد سبيلاً الى اقتحامها فيضطر في خلالها الى النزول بالشعر الى حيث لا ينبغي له ان ينزل له ، من هذا الشكل قول الأستاذ بدر الدين الحامد في بعض روايته :

رياق باب دمشق محطة للقطـــــار

أو قوله : رياق نقطــة وصل تفيدنا في الكفاح

أو قوله : قبولنا أفضل من ردنا نسعى ويبقى حقنا في الكلام

أو قوله : في حياتي لم أحمل البندقية .

وليست قيمة الشعر بكثرة أبياته ولا عيب الشعر بقلة هذه الأبيات فان ثلاثين بيتاً ينصرف الى نظمها الأستاذ صاحب رواية ميسلون فيفرغ فيها شعوره وعاطفته وروحه أقدر على تنبيه شعور القارئ وعاطفته وروحه من رواية تمثيلية يضطر في أبياتها الى مثل ما اضطر اليه من الشعر الذي ذكرته .

ويظهر ان الأستاذ بدر الدين الحامد قد عزم على وضع سلسلة من الروايات الشعرية يصور بها لأبناء اليوم ما لقيه آباؤهم من عنت الزمان وجور الحدثان

فأرجو ان يقوى في هذه السلسلة على ما لم يقو عليه في الحلقة الأولى فان من قرأ له أخيراً قصيدته في رثاء صديق له من المغنين يعترف بأن شعره لا يخلو في أحيان من شعور وعاطفة .

ش . ج

أفراح الربيع

ديوان حسن البحيري

أعجبتني كلمة صاحب هذا الديوان في صدر ديوانه وهي : « يابلادي ! اني أكشف الأستار عن بهائك وجلالك وأصف ما فيك من فتنة وروعة لأشعل في قلوب شبابك الغض نار حبك وأفتح عيون ابنائك الصيد على نور جمالك » .

ولكني فتشت في الديوان عن بهاء بلاد الشاعر وجلالها ، وهي فلسطين ، وعن فتنتها وروعتها فلم أهتد الى شيء من ذلك ، لقد تغنى صاحب الديوان بالطبيعة في أكثر قصائده ولكن الطبيعة التي تغنى بها هي طبيعة بلاد كثيرة لا طبيعة فلسطين الخاصة ، وما أظن ان فلسطين شهرت بالبان والاقحوان والكافور والزعفران أكثر من شهرتها بالبرتقال والموز فكنت آمل أن يتغنى الشاعر بحدائق فلسطين الفتانة وهي « البيّارات » التي لها لونها الخاص وطبيعتها الخاصة .

وهذا نموذج من شعر صاحب الديوان يصف فيه وادي « رشميا » من جبل الكرمل في ضوء القمر :

بوادٍ في ضياء البدْ ر فياض التعاريج
نصبتُ من الأماني الغرّ للذكرى معاريجي
وفي كوكب ليل صيغ من ذوب الدماليج
مدارجه من الخز وأرياش الجباريج
وفي روض من الأحلا م مشبوك العساليج
نعمت بغفوة الذكرى عن النوب المداليج

أظن ان كشف الأستار عن بهاء البلاد وجلالها يحتاج الى نمط من الشعر أقل غرابة من هذا النمط .

ش . ج

تطور الري في العراق

تأليف الدكتور احمد سوسة

من منشورات مجلة المعلم الجديد سنة ١٩٤٦ ، وقد جاء في ٢٣٥ صفحة من القطع المتوسط

« المعلم الجديد » مجلة تربوية ثقافية تصدرها وزارة المعارف في بغداد ، كثيراً ما طالعت فيها مقالات نفيسة للفيف من الأساتذة والكتاب المبرزين . وما كنت أدري قبل الاطلاع على هذا الكتاب أنها تنشر للمؤلفين ما هو جدير بالنشر من كتبهم . ولا شك ان عملها هذا يضيف فائدة جديدة الى فوائدها الكثيرة .

وكتاب « تطور الري في العراق » وضع باديءَ ذي بدء بالانكليزية . ثم نقله مؤلفه الى العربية . وهو يبحث عن دجلة والفرات من حيث صَبيب كل نهر وجِرْيته وسِقيه وغَيضه وفَيضه وروافده وروافعه الخ . وعن تطور الإسقاء في تأريخ العراق ، وأعمال الإسقاء في القرن الحاضر ، وسياسة الإسقاء في أيامنا هذه . وهي في الجملة أبحاث فيها مادة وفيها دراسة تجعل من هذا الكتاب صورة صغيرة جلية مفيدة لشؤون الاسقاء في العراق . ومن بواعث الأسف انه لم يظهر عندنا حتى اليوم كتاب عربي كهذا الكتاب يبحث عن الاسقاء في ديار الشام .

ومن المعلومات التي يجدها المرء في الكتاب ان الزراعة في العراق اتسعت كثيراً في ربع قرن ونيف بفضل أعمال الإسقاء وغيرها . فقد كانوا يقدرون الأرض التي زرعت في سنة ١٩١٣ مثلاً بنحو ٣٥٠٠٠٠ هكتار من الزرع المسقوي والعذي أي البعل ، على حين انها تبلغ اليوم نحو ٢٣٠٠٠٠٠ هكتار (منها ١٦٠٠٠٠٠ هكتار من المسقويات و ٦٠٠٠٠٠ هكتار من البخوس أي الأعذاء شمالي العراق) .

ولقد ذكرت في عدد نيسان سنة ١٩٤٦ من مجلتنا هذه شيئاً عن كتاب « وادي الفرات ومشروع سد الهندية » للمؤلف نفسه . وقلت انني لا أوافقه على بعض الاصطلاحات الواردة فيه . وهنا أكرر هذا القول وأذكر فيما يلي عدداً من الاصطلاحات الأخرى غير الصحيحة أو المرجوحة مما صادفته عند تلاوة كتاب « تطور الري في العراق » :

ترجم المؤلف Régime du fleuve بنظام مجرى النهر . وأصلح من ذلك جرية النهر .

والنبات الذي يتم نموه عاجلاً (Précoce) هو البَكُور والمِبكار والمِعْجال . وهي البكائر والمباكير والمعاجيل . أما الذي يطول زمن نموه (Tardif) فهو المِئخار وهي المآخير . ولا حاجة الى اصطلاحات جديدة لهذه المعاني واذا كان أحد النباتات مما يزرع في فصلين مختلفين نُسب اليها ، فيقال ذرة ربيعية وذرة صيفية وهكذا .

وذكر المخاضير والمخضرات بمعنى Légumes والصحيح الخضر والخضروات والبقول .

وجمع قناة على أقنية وهو غلط شائع . والصحيح قنوات وقُنِي .

وقال رافد ديالي بالاضافة مشيراً الى ان ديالي من روافد دجلة . والصحيح الرافد ديالي لأنه يمدّ دجلة . وقيل لدجلة والفرات الرافدان لأنهما يمدان شط العرب .

وذكر «نضوج المزروعات» . والصحيح نضجها ، أما النضوج فلم ترد . والنضج للثمار في الأرجح . أما الزرع فيقال له احصد واستحصد وأجزّ الخ . وهو الحصاد والجزاز .

ومما لاحظته في الكتب العلمية الحديثة ان معظم الكتاب يستعملون كلمة ري للدلالة على كلمة Irrigation الفرنسية ترجيحاً على «سَقْي وإسقاء» على حين ان أجدادنا العرب القدماء رجحوا الكلمتين الأخيرتين في كتبهم القديمة فيجب مجاراتهم في ذلك .

وقال : «تراكم الترسبات في الأهوار» والصحيح الراسبات Alluvions . وهي الغِرين والغِرْيَن . ومن الأسماء المقاربة التَقانة والطَلْخ والمَطْخ . وسماه مجمع مصر الطَمْي . قلت والغرين أصلح .

وقال : «خطر التسبُّخ» قلت هو السَبَخ والاسباخ . ولم أجد التسبخ بهذا المعنى .

واستعمل الصيهود بمعنى Etiage والصحيح البُرُوض والضَحْل .

وقال «حوض دجلة والفرات» ترجمةً لمثل قول الفرنج Bassin du Tigre

et de l'Euphrate والصحيح سقي دجلة والفرات ، أي ما يسقى منها من أرض أو زرع وهو المقصود .

وكرر مثل قوله « يبلغ سقوط المطر كذا مليمتراً . ووصلت كمية الأمطار الى كذا من المليمترات » قلت ان مايقاس بالمليمترات في ميازين المطر هو ارتفاع الأمطار أي علوها . فيجب ان يقال : « بلغ ارتفاع المطر كذا مليمتراً » وهكذا .

واستعمل « المنسوب » بمعنى Niveau . قلت السوية والمستوى والسطح كلها أصلح . والصبيب هو الاصطلاح الذي وضعناه لكلمة Débit . أما كلمة « تصريف » التي استعملها لهذا المعنى فهي غير صالحة .

وقال : « زراعة المحصولات الصيفية » والأرجح « زراعة النباتات الصيفية » اذا أراد التعميم ، و « زراعة الحبوب الصيفية » اذا أراد التخصيص .

وقال « في العراق نحو ١٨٠ نوعاً من التمور » . والمصطلح عليه الضرب أو الصنف (Variété) بدلاً من النوع لأن هذه الكلمة الأخيرة قد قصرت على معنى Espèce في تصنيف المواليد الحديث .

وبعد لا تقدح هذه الهنات وأشباهها مما لم أذكره في قيمة الكتاب العلمية . وأنا لم أتمثل بها إلا لأنني قرأت في أول الكتاب أن للمؤلف معجماً مخطوطاً جاهزاً للطبع سماه « معجم المصطلحات الهندسية » . فاذا كانت مصطلحات هذا المعجم كالتي استعملها المؤلف في كتبه يكون من المفيد أن يتريث في طبعه ، وان يراجع الفاظه بضع سنين خشية أن يسيء الى نفسه والى لغة الضاد . وهذه نصيحة لا أسديها إلا إلى الذين أنا معجب بمؤلفاتهم كصاحب هذا الكتاب النفيس .

مصطفى الشهابي

آراء وأنباء

استقبال عضو عامل جديد

عقد المجمع العلمي العربي جلسة في ١٣ ايار سنة ١٩٤٦ لاستقبال العضو العامل الجديد الدكتور حسني سبح رئيس الجامعة السورية التي فيها كلمة ترجم فيها لسلفه المرحوم الأستاذ اديب التقي ، وأجابه العضو العامل الأستاذ عارف النكدي بكلمة نوه بها بأعمال المجمع وحيا العضو الجديد معرفاً به وبآثاره . وفيما يلي الكلمتان المشار اليهما . :

كلمة الدكتور حسني سبح

سادتي الأفاضل

أرى لزاماً علي ان افتتح كلمتي بحمد الله على ما أولاني من نعم ، ثم ان أتبعها شكرَ حضراتكم على تفضلكم علي وانتخابكم اياي عضواً عاملاً في مجمعكم الموقر وفقني الله لأن أكون عند حسن ظنكم .

وبعدُ ، فإن من تقاليد المجمع ان يُلقي العضو العامل الجديد في جلسة استقباله كلمة يترجم بها لسلفه ويسرُد ما قام به من عمل وما أبقاه من أثر ، وسلفي رحمه الله كان ممن تربطني به صلة الصداقة ، ومعرفتي به وان لم تكن قديمة العهد راسخة ، فقد أتيح لي أن رافقته في رحلة مهرجان المعري وقضيت بصحبته الساعات الطوال ، والسفر كما قيل يسفر عن أخلاق الرجال ، فسبرت غور نفسه واطلعت على ما تحلى به رحمه الله من سجايا طيبة وأخلاق رضية ونفس أبية ، في جانب تفكير صحيح وثقافة عالية ، وأدب جم وشعر رقيق ، ناهيك عن وطنية صحيحة وحمية لاهبة .

وقد ولد المرحوم الأستاذ أديب التقي سنة ١٣١١ هـ في دمشق من أبوين صالحين وكان ولعاً في صغره بحفظ الجيد من شعر العرب وكلامهم مع آيات

الذكر الحكيم ، وأتم دراسته الثانوية في المدرسة السلطانية في دمشق ، وتخرج في علوم البلاغة والنقد الأدبي بالعلامة الجليل السيد محسن الأمين عضو مجمعكم الموقر ، وما ان اكمل تحصيله حتى اشتعلت نار الحرب العالمية الأولى ، فأخذ ضابطاً احتياطياً وذهب الى جبهة القفقاس ، حتى اذا وضعت الحرب أوزارها عاد الى بلده دمشق ، فاشتغل في التعليم ودأب على تأليف الكتب المدرسية المفيدة ، ولما احتل الفرنسيون دمشق كان مديراً لمدرسة البحصة ، وكان يذكي في نفوس تلاميذه روح العروبة ويبذر بذور الوطنية الحق ، حتى ان صورة للجنرال غورو كانت معلقة في بهو إدارة المدرسة مزقها الطلاب في يوم ذكرى ميسلون فأثار ذلك حفيظة أولي الأمر عليه ونحي عن العمل ، فعين مديراً للمدرسة العلوية الأهلية في دمشق ، فأحسن إدارتها ونهض بها الى مصاف المدارس الثانوية الراقية .

ولما اندلع لهيب الثورة السورية سنة ١٩٢٥ غادر دمشق الى شرقي الأردن حيث عهد اليه فى تدريس الأدب العربي في مدرسة الصلت الثانوية ، ورجع الى دمشق بعد خمود الثورة ، وانتسب الى معهد الحقوق العربي في الجامعة السورية ونال الإجازة وعين أستاذاً للأدب العربي في تجهيز الإناث ثم محاضراً في الأدب العربي في مدرسة الآداب العليا ، وانتخب سنة ١٩٤٢ عضواً عاملاً في المجمع العلمي العربي ، وبينما كان يعد العدة للذهاب الى القاهرة ليقدم الى جامعتها كتابه الذي وضعه في الشريف الرضي ، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب ، عاجلته المنية في نيسان ١٩٤٥ تغمده الله برحمته .

وقد كان رحمه الله أديباً وشاعراً تقياً ، فصيح اللسان واسع الاطلاع في علوم اللغة والتاريخ ، عذب الحديث محافظاً على المبادئ والأخلاق الاسلامية والقومية الصحيحة ، ابي النفس ينتصر للحق وفياً لأصدقائه فعالاً للخير .

وانكب على الكتابة والتأليف وقرض الشعر ، فأهدى الى المكتبة العربية بعض الكتب القيمة ، أذكر مما طبع منها التاريخ العام وهو في جزئين وسير التاريخ الاسلامي ومناهج التربية والتعليم ، وسير العظماء ، ونهضة اليابان السياسية والاجتماعية ، ومصطفى كمال باشا في الأناضول ، وغرائب العادات ، والمسيح الهندي .

وساهم مع زملائه الأساتيذ الجندي والقواس والسراج بوضع كتاب الطرف في ستة أجزاء ، ونشر عدة مقالات في المجلات العربية المختلفة .

أما ما لم يطبع من مؤلفاته ، فمنها تاريخ العصر الحاضر ، وتاريخ العهد النبوي والخلفاء الراشدين ، والامام علي بن أبي طالب ، وبسمارك بطل الاتحاد الألماني ، والجغرافية الاقتصادية ، وتاريخ الختان ومحسناته ، والجزء الثاني من سير العظماء ، ومائتا مسألة في الحساب النظري والجبر والمثلثات والميكانيك والفيزيك ، ومجموعة مقالاته الاجتماعية والأدبية والتاريخية ، وشعر الخيام وفلسفته ، ورواية الوجيه المتحضر ، ثم مؤلفه في الشريف الرضي ويعد على ما قيل من أفضل ما كتب عنه .

ونظم رحمه الله الشعر حتى اجتمع من شعره ديوان طبعه سنة ١٣٥٠ هـ ، فضلاً عن القصائد العديدة التي نظمها في جملة مناسبات ، وكلها حماسية ، تذكي لهيب الوطنية وتدعو الى النهوض واليقظة . وبوب ديوانه المذكور تبويباً ينم على ما يخالج نفسه من مشاعر في شتى النواحي . فاستهل « نبضات قلب » بوداع دمشق نظمها عندما غادر دمشق الى استانبول الانضمام الى الجيش في الحرب العالمية الأولى ومطلعها :

شذاك ام المسك الفتيت يضوعُ   له بيننا الى نحل سطوعُ

ومن شعره الرقيق في « سانحة وجد » :

لئن بعدت منازلكم فقلبي   لكم من دونها كنف ودارُ
وان ضن السحاب فدمع عيني   لكم من دون عارضه قطار
عتبت على الزمان وليت شعري   أيرجى منك يا دهر اعتذار
هي الأقدار تمضي في البرايا   فليس يقيك من قدر حذار

وقال رحمه الله :

يجري بنا الدهر الى غايةٍ   سيان داني الخطو او شاسعهْ
ان لم يزن حسن الفتى خلقه   فما جمال خلقه نافعه
والمسك ما نم عليه الشذا   لا ما غلا في مدحه بائعه

وقال في « زفرة » :

الزيت اوشك ان يجف   وينطفي نور السراج

انى سأمضي غير معـــروف الدخيلة والعلاج
واظل في هذا الورى أحجية بين الأحاجي

وابدع في وصف شيخ تصابى وضل وفجر اذ قال :

جاز الشباب الى شيخوخة ورثت عن الشباب بقايا الاثم والعار
ما زال منذ الصبا باللهو منغمساً لم ينهه الشيب في وعظ وأذكار
في حالتيه تراه غير مكترث بغير كأس وطنبور ومزمار
تراه طوراً لدى ماخور مومسة وتارة هو في حانوت خمار

الى ان قال :

يا ويحه كثرت آثامه فمتى تنأى به الدار أو ينأى عن الدار

ورثى صديقه المرحوم احمد شاكر الكرمي بمرثية طويلة قال فيها :

بردى بكى وبكت ضفافه قل للحمام فما هتافه
الموج عبر عن أساه وصوته هذا التهافه
والآس في روضاته مستعبر وكذا خلافه

الى ان قال :

أمهدداً بالموت ان الموت امر لا نخافه
درجت عليه كهولنا والنشء تيمه ارتشافه
لا نرتضي عيش الهوان فان أنفسنا تعافه
عيش يعز قويـه وتئن رازحة ضعافه
العدل أظلم أفقـه والظلم لا يخشى اقترافه
والأرض مجزرة القوي ضعافه فيهـا خرافه
والشمل منصدع فهل يرجى مع الخلف ائتلافه

رحمه الله رحمة واسعة وأمد الله في أعماركم زملائي الأكارم وادامكم للعلم والفضيلة وللعرب والعربية ذخراً والسلام .

حسني سبح

كلمة الأستاذ عارف النكدي

سادتي : رئيس المجمع العلمي العربي واعضاءه الكرام .

جرى العرف في المجامع العلمية ، ان يقدم العضوَ الجديد ، عضوٌ قديم ، وأقر مجمعنا هذا العرف ، ثم ندبني لأُقدم اليه زميلنا الجديد الحكيم حسني سبح : رئيس الجامعة السورية .

والتقديم — سواء أكان سنة تردد ، أو تعارف يجدد ، او معرفة توكد ، — من حقه ان يكون متبادلاً ، لذلك رأيت ان ابدأ فأقدم هذا المجمع الى الزميل الجديد ، قبل ان اقدمه هو اليه .

ولست في تقديمي هذا ، بمتعرض للمجمع من ناحيتيه : العلمية والتاريخية : تأسيسه وسيرته ، وابحاثه واحداثه ، وتطوراته ومحاضراته ، فهذا شيء من حقوق الرئاسة ، والأُستاذ الرئيس يقوم به ، وعلى احسن وجه ، ولا سيما في تقريراته الدورية ، وبياناته السنوية لكنني متناول هذا المجمع من ناحيته : العملية والاجتماعية .

ليس يعرف لهذا المجمع قيمته ، إلا الذين عاشوا في نأنأة الحكومة العربية ، التي أنشأها رجل العرب فيصل بن الحسين ، او من يعود الى اوراقها ومعاملاتها ، ينقب فيها ليطلع على مضامينها . في ذلك الحين كان لتلك الحكومة العربية الناشئة ، لغة عربية ، وليس لها من العربية الا حروف مغلوطة مقلوبة : في رسمها وفي لفظها ، وإلا كلمات محرفة مصحفة : عن وضعها وعن استعمالها . اما الأساليب والتراكيب فعجمة في عجمة ، قل ان يفهم منها مقصود ، او يستخلص معنى .

في تلك الفترة الدقيقة من حياة اللغة العربية ، بل من حياة الأُمة العربية ، وبعيد تلك الفترة — يوم حاولت اللغة الفرنسية وأساليبها ان تزحزح اللغة العربية عن مقامها في الدوائر الحكومية — وقف هذا المجمع يعرب الكلمات ، ويضع المفردات ، ويصحح الألفاظ والعبارات ، ويقوّم الأساليب واللهجات ، صيانة لهذه اللغة ومحافظة عليها . وهو العمل الذي ما يزال عليه الى يومنا هذا ، دائباً موفقاً .

فإذا كانت هذه اللغة ، قد اقيل في هذه البقعة العربية من عثارها ، فاصطلحت

اللغة: في الدواوين ، وفي الصحافة ، وفي الدراسة ؛ وهذبت مما كان يشوبها من عجمة ولكنة ؛ فجانب كبير من هذا الفضل ، يعود الى هذا المجمع .

واللغة اذا سلمت ؛ فقد سلمت الأمة . فالأمة لغتها ، وقديماً قال عليه الصلاة والسلام: ليست العربية لأحدكم بأب ولا أم ، وانما هو اللسان . من تكلم العربية فهو عربي .

هذه واحدة ، من حيث خدمة المجمع العربي للشعب الشامي ، بل للأمة العربية ، من الناحية اللغوية والقومية ، ولو لم يكن له غيرها لكان قد قام بما أسس من أجله ، وحسبه هذا .

الا ان لهذا المجمع موقفاً آخر من حيث الكرامة القومية ، والروح الوطنية ، لا ينبغي ان يغفل أمره .

فالمجمع العربي هو الدائرة الفرد — من بين سائر دوائر الحكومة — التي وقف منها الأجنبي موقف الحرمة والمساواة . فما سيطر عليها ولا استطال ، ولا عبث بها ولا أفسد ؛ في هذا الموطن وحده وقفت لغة القوة ، من لغة العلم ، موقف الند للند ، ومدت السلطة يدها الى المجمع ، مدة المجاملة لا المجالدة .

هذه هي صورة مجملة لهذا المجمع العلمي ، ما نرسمها تعريفاً له ، بل تنويهاً به .

ومما يحمد لهذا المجمع انه كان في جميع ادواره ، حريصاً على ان يضم اليه النخبة الصالحة من رجال الأدب والعلم والفضل ، في كل باب من أبواب العرفان ، التي يحتاج اليه هذا المعهد في تكوينه وتقويته وتعزيزه .

من أجل ذلك كان طبيعياً ان يختار مجمعنا لعضويته الأستاذ سبح ، لصفتيه : العامة والخاصة .

فالأستاذ الحكيم ، رئيس الجامعة السورية ، وخليق بصاحب هذا المنصب العلمي الخطير ، وهو يشرف منه على تثقيف أبناء الأجيال القادمة في دراستهم العليا ، ان يكون في جملة اعضاء المجمع العلمي ؛ ولا سيما متى اجتمع فيه من مزايا العلم ، وخدمته ، والعمل في التعليم والتأليف ، ما اجتمع في زميلنا الكريم .

فهو بعد ان أتم دراسة الطب في معهد دمشق سنة ١٩١٩ ، عين مساعداً لمخابر

المعهد الطبي فيها ، ثم محاضراً ، ثم وكيل أستاذ ، ثم أستاذاً لكثير من فروع العلوم الطبية . ثم رئيساً لمعهد الطب ، فرئيساً للجامعة .

أما مؤلفاته فهي : موجز مبادئ علم الأمراض ، طبع سنة ١٩٣٣ وأعيد طبعه مرتين سنة ١٩٣٨ وسنة ١٩٤٢ . ومبحث الاعراض والتشخيص طبع سنة ١٩٣٣ وأعيد طبعه مرتين أيضاً سنة ١٩٤٢ وسنة ١٩٤٥ . وعلم الأمراض الباطنة في سبعة اجزاء صدر منها حتى الآن خمسة أجزاء ، والجزء السادس تحت الطبع . وموضوعات الأجزاء كما يلي :

الجزء الأول امراض الجملة العصبية طبع سنة ١٩٣٥ .

الجزء الثاني الأمراض الانتانية والطفلية طبع سنة ١٩٣٦ .

الجزء الثالث أمراض جهاز التنفس طبع سنة ١٩٣٧ .

الجزء الرابع أمراض جهاز الهضم طبع سنة ١٩٤٠ .

الجزء الخامس امراض جهاز الدوران طبع سنة ١٩٤٤ .

الجزء السادس امراض جهاز البول وامراض الدم وهو تحت الطبع .

وألف كتاباً أسماه فلسفة الطب طبع سنة ١٩٣٩ واعيد طبعه سنة ١٩٤٥ .

وهو يطبع الآن موجزاً للأمراض الباطنة يقع في جزئين .

وله معجم في الألفاظ والمصطلحات الفنية يقع في ثلاث كراسات ، احداها في أمراض الجملة العصبية . والثانية — في الأمراض الانتانية والطفلية . والثالثة — في أمراض جهاز التنفس .

وقد بوّب هذه الألفاظ والمصطلحات ، ورتبها على الحروف الهجائية ، باللغتين العربية والفرنسية ، ثم بالفرنسية والعربية ، مما يسهل على الطالبين الرجوع اليها والاستفادة منها . وهذه الألفاظ منها ما نقله المؤلف عن غيره ، ومنها ما اهتدى اليه باجتهاده ، ومنها ما وضعه من ذات نفسه . وعمله هذا خدمة جلى للغة ، ولعلم الطب ، بل للعلوم عامةً .

وتآليف الأستاذ ظاهر فيها دقة الوضع ، ووضوح المعنى ، غالب عليها صحة الأسلوب ودقة التعبير ، ولا سيما في الكتب التي جدد طبعها .

وزميلنا الفاضل مشهور في فنه خاصة بتشخيص المرض، وبإخلاصه للفن اخلاصاً يسمو به عن روح المتاجرة، وبالصراحة التي تبعده عما يقع فيه كثيرون من الرغبة في التبجح ومن الميل الى الظهور. فأخلاقه اخلاق العلماء، وتواضعه تواضع من يعرف قدر نفسه وقيمتها، فلا يبالي بمظهر كاذب، ولا دعوى فارغة.

ذلك هو المجمع، وهذا هو عضوه الجديد. واذا كان الأستاذ سبح قد خدم العلم من قبل من ناحية، فسيخدمه في المجمع بعد اليوم من ناحيتين. والأمل كبير في ان يكون الزميل بما هو معروف عنه من جد ودأب ونشاط — المثل الأعلى في المؤازرة والمعاونة في كل ما يعود على المجمع والعلم بالخير والفائدة.

أهلاً وسهلاً بالزميل الجديد، ورحم الله الزميل الفقيد.

مصاب بالكاتب الأديب، وعزاء بالعالم الأريب.

عارف النكدي

مدينة سراي

جاء ذكر سراي في الجزء الثالث والرابع المزدوج من المجلد الحادي والعشرين (ص ١٣٥) وقيل عنها هناك: «لعلها التي تسمى اليوم استرخان». فلإزالة هذا الاشتباه أقول ان سراي ليست استرخان، وان كانتا كلتاهما على نهر إتل (بكسر الألف والتاء)، وهو المسمى اليوم فولغا أطول نهر في اوربا. فان استرخان (تحريف اسمها القديم الحاج ترخان) هي عند مصب هذا النهر. وأما سراي فقرب اواسطه بعيدة عن استرخان الى الشمال.

أسس بلدة سراي باتوخان ملك التتار ابن جوجي (ويقال دوشي) خان ابن جنكيز خان الشهير على الجانب الشرقي من نهر إتل بساحل شعبة منه يقال لها آق توبه أي التل الأبيض في حدود سنة ٦٤٠ هـ. وجعلها كرسي مملكته المعروفة عندهم بـ (الوس جوجي) اي حصة جوجي، حصته التي أعطاه اياها ابوه جنكيز عندما قسم الممالك التي استولى عليها بين أولاده الأربعة، وتعرف أيضاً بمملكة الدشت، دشت قبجق، وبالنون اردو. وسماها العرب أحياناً بمملكة بركة.

وزميلنا الفاضل مشهور في فنه خاصة بتشخيص المرض، وبإخلاصه للفن اخلاصاً يسمو به عن روح المتاجرة، وبالصراحة التي تبعده عما يقع فيه كثيرون من الرغبة في التبجح ومن الميل الى الظهور. فأخلاقه اخلاق العلماء، وتواضعه تواضع من يعرف قدر نفسه وقيمتها، فلا يبالي بمظهر كاذب، ولا دعوى فارغة.

ذلك هو المجمع، وهذا هو عضوه الجديد. واذا كان الأستاذ سبح قد خدم العلم من قبل من ناحية، فسيخدمه في المجمع بعد اليوم من ناحيتين. والأمل كبير في ان يكون الزميل بما هو معروف عنه من جد ودأب ونشاط — المثل الأعلى في المؤازرة والمعاونة في كل ما يعود على المجمع والعلم بالخير والفائدة.

أهلاً وسهلاً بالزميل الجديد، ورحم الله الزميل الفقيد.

مصاب بالكاتب الأديب، وعزاء بالعالم الأريب.

عارف النكدي

مدينة سراي

جاء ذكر سراي في الجزء الثالث والرابع المزدوج من المجلد الحادي والعشرين (ص ١٣٥) وقيل عنها هناك: «لعلها التي تسمى اليوم استرخان». فلإزالة هذا الاشتباه أقول ان سراي ليست استرخان، وان كانتا كتاهما على نهر إتل (بكسر الألف والتاء)، وهو المسمى اليوم فولغا أطول نهر في اوربا. فان استرخان (تحريف اسمها القديم الحاج ترخان) هي عند مصب هذا النهر. وأما سراي فقرب اواسطه بعيدة عن استرخان الى الشمال.

أسس بلدة سراي باتوخان ملك التتار ابن جوجي (ويقال دوشي) خان ابن جنكيز خان الشهير على الجانب الشرقي من نهر إتل بساحل شعبة منه يقال لها آق توبه أي التل الأبيض في حدود سنة ٦٤٠ ﻫ. وجعلها كرسي مملكته المعروفة عندهم بـ (الوس جوجي) اي حصة جوجي، حصته التي أعطاه اياها ابوه جنكيز عندما قسم الممالك التي استولى عليها بين أولاده الأربعة، وتعرف أيضاً بمملكة الدشت، دشت قبجق، وبالنون اردو. وسماها العرب أحياناً بمملكة بركة.

لأن بركة خان اخا باتوخان اشتهر بكونه أول من أسلم من آل جنكيز على الاطلاق ونشر الاسلام في تلك الأصقاع وجرت له مناسبات سياسية مع ملوك مصر عداوة لهلاكو ابن عمه . وكان اسلامه على يد صاحب طريقة يدعى سيف الدين الباخرزي . وكان بركة خان هو الذي أتم بناء سراي كما جاء في كتاب (تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقايع قزان وبلغار وملوك التتار) تأليف م . م . الرمزي (ج ١ ، ص ٣٧٩) .

زار ابن بطوطة مدينة سراي في زمن السلطان اوزبك وسماها (سرا) بحذف الياء . قال بعد عودته من القسطنطينية : « . . . ثم وصلت الى مدينة الحاج ترخان حيث فارقنا السلطان اوزبك فوجدناه قد رحل واستقر بحضرة ملكه فسافرنا على نهر إتل وما يليه من المياه ثلاثاً وهي جامدة . وكنا اذا احتجنا الماء قطعنا قطعاً من الجليد وجعلناه في القدر حتى يصير ماء فنشرب منه ونطبخ به . ووصلنا الى مدينة السرا (وضبط اسمها بسين مهملة وراء مفتوحة والف) وتعرف بسرا بركة وهي حضرة السلطان اوزبك ودخلنا على السلطان . . . ومدينة السرا من احسن المدن متناهية الكبر في بسيط من الأرض تغص بأهلها كثرةً ، حسنة الأسواق ، متسعة الشوارع . وركبنا يوماً مع بعض كبرائها وغرضنا التطوف عليها ومعرفة مقدارها ، وكان منزلنا في طرف منها فركبنا منه غدوةً فما وصلنا لآخرها الا بعد الزوال . فصلينا الظهر وأكلنا طعاماً فما وصلنا الى المنزل إلا عند المغرب . ومشينا يوماً في عرضها ذاهبين وراجعين في نصف يوم . وذلك في عمارة متصلة الدور لا خراب فيها ولا بساتين . وفيها ثلاثة عشر مسجداً لإقامة الجمعة . . . وفيها طوائف من الناس منهم المغل وهم أهل البلاد والسلاطين وبعضهم مسلمون ، ومنهم الاص وهم مسلمون ومنهم القفجق والجركس والروس والروم وهم نصارى . وكل طائفة تسكن محلة على حدة فيها اسواقها . والتجار والغرباء من أهل العراقين ومصر والشام وغيرها ساكنون بمحلة عليها سور احتياطاً على أموال التجار . . . » .

حارب تيمورلنك توقتامش خان ملك التتار ، وفي حربه الأخيرة معه غُلب توقتامش وهرب ، فأرسل تيمور من خرب سراي سنة ٧٩٨ (تلفيق الأخبار ،

ج ١، ص ٦٢٤) — ثم انها عمرت تدريجاً بعد انصراف تيمور . وبعد مضي اكثر من عصر استولى عليها مكلي كراي حاكم القرم واخربها نهائياً، وقيل في تاريخ خرابها: (ايا ويح مسراي هده ودمره مكلي كراي) (سنة ٩٠٧) (تلفيق، ج ١، ص ٧٠٩ و ٧١٢) . واستمر خرابها الى ان بنى الألمان النازحون، منذ القرن الثامن عشر الميلادي، الى تلك الأطراف في أيام يكاترينا الثانية على انقاضها قرية صميت (صريفكه) تحريف مسراي . ثم صارت بعد ذلك قصبة وفيها محلة من المسلمين لهم فيها مسجد ومكتب (تلفيق، ص ٧١٣) .

(الموصل) الدكتور داود الجلبي

ذيل مرآة الزمان

في خزانة وزارة الهند في لندن كتاب عنوانه ذيل مرآة الزمان لمؤلف غير معلوم كما كانوا يظنون ولكن بعد المطالعة وجدت انه مجلد من تاريخ قطب الدين اليونيني البعلبكي المتوفى سنة ٧٢٦ وهذا الكتاب اظنه نادراً جداً يوجد أوله في الأستانة في نسختين، ثم نسخة عتيقة في اكسفورد تحتوي أخبار سنة ٦٥٦ الى سنة ٦٧٣ . وهذا المجلد المحفوظ في لندن يشتمل على الأخبار من سنة ٦٧١ الى ٦٨٦ واذ ان المؤلف ساق تاريخه الى عام وفاته فياحبذا لو نعلم بمكان وجود الجزء المشتمل على الأخبار من سنة ٦٨٦ الى آخر الكتاب .

أسلوب هذا التاريخ على نمط التواريخ منذ زمان الصولي والصابي انه يذكر أولاً التاريخ الدولي ثم في كل سنة تراجم من مات في تلك السنة من الأعيان من الأمراء والملوك والشعراء وشيوخ الحديث الخ ولكنه يختلف عن المؤرخين المصريين اذ هو شامي وتاريخه شامي ودائماً نجد انه كان صديقاً أو ذا معرفة بكثير من الأكابر في زمانه وأيضاً انه شاهد بنفسه الواقعات المشهورة مثل الملحمة ظاهر حمص التي كسرت بها التتار تحت امرة منكوتمر اخي الملك ابغا خان وتارة يجيء بالعجائب نحو ما ذكره في ترجمة شمس الدين ابن خلكان حين كان قاضي القضاة يقول: (ورقة ٥) حكى لي (يعني صاحبه كمال الدين عمر بن العديم المؤرخ المشهور) انه حضر اليه

ج ١، ص ٦٢٤) — ثم انها عمرت تدريجاً بعد انصراف تيمور. وبعد مضي اكثر من عصر استولى عليها مكلي كراي حاكم القرم واخربها نهائياً، وقيل في تاريخ خرابها: (ايا ويح مسراي هده ودمره مكلي كراي) (سنة ٩٠٧) (تلفيق، ج ١، ص ٧٠٩ و ٧١٢). واستمر خرابها الى ان بنى الالمان النازحون، منذ القرن الثامن عشر الميلادي، الى تلك الأطراف في أيام يكاترينا الثانية على انقاضها قرية سميث (سريفكه) تحريف مسراي. ثم صارت بعد ذلك قصبة وفيها محلة من المسلمين لهم فيها مسجد ومكتب (تلفيق، ص ٧١٣).

(الموصل) الدكتور داود الجلبي

ذيل مرآة الزمان

في خزانة وزارة الهند في لندن كتاب عنوانه ذيل مرآة الزمان لمؤلف غير معلوم كما كانوا يظنون ولكن بعد المطالعة وجدت انه مجلد من تاريخ قطب الدين اليونيني البعلبكي المتوفى سنة ٧٢٦ وهذا الكتاب اظنه نادراً جداً يوجد أوله في الأستانة في نسختين، ثم نسخة عتيقة في اكسفورد تحتوي أخبار سنة ٦٥٦ الى سنة ٦٧٣. وهذا المجلد المحفوظ في لندن يشتمل على الأخبار من سنة ٦٧١ الى ٦٨٦ واذ ان المؤلف ساق تاريخه الى عام وفاته فياحبذا لو نعلم بمكان وجود الجزء المشتمل على الأخبار من سنة ٦٨٦ الى آخر الكتاب.

أسلوب هذا التاريخ على نمط التواريخ منذ زمان الصولي والصابي انه يذكر أولاً التاريخ الدولي ثم في كل سنة تراجم من مات في تلك السنة من الأعيان من الأمراء والملوك والشعراء وشيوخ الحديث الخ ولكنه يختلف عن المؤرخين المصريين اذ هو شامي وتاريخه شامي ودائماً نجد انه كان صديقاً أو ذا معرفة بكثير من الأكابر في زمانه وأيضاً انه شاهد بنفسه الواقعات المشهورة مثل الملحمة ظاهر حمص التي كسرت بها التتار تحت امرة منكوتمر اخي الملك ابغا خان وتارة يجيء بالعجائب نحو ما ذكره في ترجمة شمس الدين ابن خلكان حين كان قاضي القضاة يقول: (ورقة ٥)

حكى لي (يعني صاحبه كمال الدين عمر بن العديم المؤرخ المشهور) انه حضر اليه

وهو بالمدرسة العادلية الكبيرة بدمشق بعد العشاء الآخرة من اخبره ان ثم جماعة من أعيان العدول في مكان يشربون الخمر وعندهم نساء أجنبيات وشنع شناعة كثيرة فاستوثق المخبر عنده وأرسل من باب السر من يثق به الى ذلك المكان وعرفهم الصورة وان والي الليل يحضر لكشف ذلك وأمرهم برفع ماعندهم من المنكرات والتأهب لمن يحضر ثم أحضر والي الليل وعرفه ما ذكر الناقل وأمره ان يأخذه ويتوجه الى المكان لكشف (الأصل بكشف) حقيقة ذلك فتوجه والي الليل وطرق الباب ودخل فوجد جماعة يتحدثون وعندهم فقير مزمزم ومأكول لا غير فعاد والي الليل ومن معه وأخبروه بما شاهدوا فعزر الناقل فانحسمت مادة السعايات بمثل ذلك ٠

كذلك نجد أشياء تبين أخلاق بعض الأكابر فانه قال بعد ترجمة طويلة للملك الظاهر بيبرس (سنة ٦٧٦) في ترجمة الملك القاهر عبد الملك بن عيسى ابن محمد بن أيوب ما نصه :

وحكي ان تاج الدين نوح بن اسحاق بن شيخ السلامية حكي عنه حكاية غريبة معناها ان الأمير علاء الدين ازدمر العلائي نائب السلطنة كان بقلعة صفد حدثه بها قال كان الملك الظاهر مولعاً بالنجوم وما يقول ارباب التقاويم كثير البحث عن ذلك فأخبر انه يموت في سنة ٧٧ ملك بالسم فحصل عنده من ذلك أثر كثير وكان عنده حسد شديد لمن يوصف بشجاعة او يذكر بذكر جميل في معناها واتفق ان الملك القاهر لما دخل الملك الظاهر الى الروم وكان يوم المصاف ورآه الملك الظاهر فتأثر منه وانضاف الى ذلك ان الملك الظاهر حصل منه في ذلك اليوم فتور على خلاف العادة وظهر عليه الخوف والندم على تورطه في بلاد الروم فحدثه الملك القاهر في ذلك الوقت بما فيه نوع من الانكار عليه والتقبيح لفعاله فأثر عنده أثراً آخر ٠ فلما عاد من غزاته وسمع الناس يلهجون بما فعل الملك القاهر زاد تأثره وحنقه عليه فخيل في ذهنه انه اذا سمه كان هو الذي ذكره أرباب النجوم لأنه يطلق على اسم ملك وله ذكر فأحضره عنده ليشرب القمز وجعل الذي قد أعد له في ورقة في جيبه من غير ان يطلع على ذلك أحداً من خلق الله تعالى

وللسلطان هنابات مختصة ثلاثة مع ثلاثة من السقاة الذين له لا يشرب إلا بها ممن يكرمه بأن يناوله ذلك الهناب من يده واتفق قيام الملك القاهر الى البزال فجعل الملك الظاهر ما في الورقة في هنابه وأمسكه بيده فلما عاد الملك القاهر ناوله إياه فقبل الأرض وشربه وقام الملك الظاهر ليبزل فأخذ الساقي الكأس من يد الملك القاهر وملأه على العادة وأمسكه ووقف مع السقاة فجاء الملك الظاهر من البزال وتناول ذلك الكأس بعينه فشربه وهو لا يشعر فلما فرغ من شربه استشعر وعلم انه شرب من ذلك الكأس الذي فيه آثار السم وبقاياه فقام من وقته وحصل له ألم وتخيل واشتد به المرض ومات كما تقدم وأما الملك القاهر فمات غد ذلك اليوم ٠

هذا مضمون ما ذكره ابن المولى تاج الدين نوح وذكر ان عز الدين العلائي بلغه ذلك من مطالع لا يشك في أخباره والله أعلم بحقيقة ذلك ٠

تنبيه الى ص ٥٣٠ من المجلد العشرين من المجلة

اسم جد البرزالي اويدّاس بفتح الياء المثناة والدال المشددة كما ذكرته في ترجمته في الدرر الكامنة وكذا كتب جده اسمه في مجلد من تاريخ ابن عساكر محفوظ في المتحف البريطاني وهذا الاسم ليس بنادر في برابر المغرب ٠

ديوان زهير بن أبي سلمى

لم أر الى الآن هذا المنشور ولكن اقول ان الموجود منه ثلاث روايات فالمتداولة الى يومنا الأندلسية المختصرة التي طبعت غير مرة ، ثم روايتان للديوان الكامل اقدمها لأبي سعيد السكري ، ثم التي في رواية ابي العباس ثعلب النحوي الكوفي التي هي أصل الطبعة الجديدة اذ منها عدة نسخ جيدة منها التي هي محفوظة في خزانة الاسكوريال ببلاد الأندلس وهي التي نقلتها في هوامش نسختي من الرواية الثالثة وهذه الرواية اعني رواية ابي سعيد السكري لا أعرف منها إلا

النسخة التي في خزانة المستشرقين الألمانيين في هالّة وقد وهم صديقي الأستاذ فيشر لما زعم انها ايضاً رواية ثعلب بل هي أوسع قليلاً ولكن فقدت الورقة الأولى منذ دهر قديم فكتب شخص ليكمل الكتاب على ورق مخالف للأصل بمداد ليس اسود مثل مداد الأصل وأيضاً في آخر الديوان يوجد بخط دقيق لكاتب الأصل كملت رواية السكري او ما معناه . وفي هذا الديوان أبيات يسيرة لا وجود لها في رواية ثعلب وبالعكس . وأيضاً في الروايتين اختلاف في ترتيب القصائد ولكن لا شك بأن كليهما أخذا اكثر الشروح عن شيوخ كانوا قبل زمانها . نسختي التي كتبتها منذ أكثر من ثلاثين سنة عازماً على نشرها قد أعرتها لصديق فلم يردها الى اليوم .

(كمبردج) سالم الكرنكوي

التنبيه والتوجيه

— ٣ —

٢ — وفي ص ١٥ أيضاً «وأكياساً حريرية» وقول الكاتب الفاضل «حريرية» فيه لبس وابهام ، لأن قوله «حريرية» يعني في لغة العرب «فيها شيء من الحرير» وكذلك الأمر في كل ما نسب الى الأشياء ولم أجد أحداً من المعاصرين نبه على هذه النكتة الدقيقة في لغة العرب ، فاذا كانت الأكياس كلها من الحرير قيل «أكياساً حريراً» ، وعلى هذا يجب ان يقال «السكة الحديد» لا «السكة الحديدية» .

٣ — وجاء في ص ١٧ أنّ من الضروري جعل «البرعمة» — وهي بالفرنسية Ecussonnage — للتطعيم بالرقعة إذ لم يكن له اسم في العربية ، قلت : اسمه بالعربية «التطعيم» أيضاً فلا حاجة الى البرعمة ، قال ابو الحسن المسعودي «وقد ضربنا ضروب التوليدات في أنواع الحيوان والنبات من تطعيمهم الغروس والأشجار[1]» ، وجاء في أخبار الملك الناصر محمد بن قلاوون الألفي من حوادث سنة ٧١١ هـ انه «أخرب مناظر اللوق بالميدان الظاهري ، وعملها بستاناً وأحضر اليه سائر

(١) مروج الذهب «ج ١ ص ٢٢٥» طبعة المطبعة البهية المصرية سنة ١٣٤٦

أصناف الزراعات واستدعى خولة الشام والمطعمين فجاء من أبدع البساتين [1] »
واشتهر من المطعمين في التاريخ « عيسى بن عبد الرحمن بن معالي المقدمي ثم الصالحي الحنبلي السمسار المطعّم ، ولد سنة ٦٢٦ هـ وروى من الأحاديث النبوية وغيرها وكان يطعم الأشجار ويسمسر في الدور وسافر الى بغداد وطعم بستان المستعصم بالله العباسي وتوفي سنة ٧١٧ ، قيل كان أمياً بعيد الفهم [2] » . وربط الثقافة العربية القديمة بالحديثة واجب راتب .

٤ — وجاء في ص ١٨ من المجلد المذكور أن « مِضغط الجو هو أدل على البارومتر Barometer من المضغط بالاطلاق . قلت : اذ انتهى الأمر الى استعمال كلمتين فالصواب « ميزان الهواء » وهذا الاسم أقرب الى أفهام العرب وأوضح لطلاب العلم من غيره .

٥ — وفي ص ٢١ منه ورد أن « بغلاً » لا يجمع في القلة على « أبغل » بل على « أبغال » ، قلت : إنّ « أبغلا » هو القياسي في قلة على « بغل » وأما « أبغال » فلم يجمع الصرفيون على قياسه ، وفي الأخبار التي نقلها الخطيب البغدادي ان الخليفة محمداً الأمين أمر الفضل بن الربيع فأوقر لعبد الله بن أيوب الشاعر « ثلاث أبغل » دراهم [3] ، إجازة له على أبيات .

٦ — وجاء في ص ٣٥ منه ما يفيد ان قولهم « يخرب بيتو » من الكلام العامي الحديث ، والتاريخ يدلُّ على قدمه فقد ورد في كلام ثعلب : قيل لما قرأ القطربلي عليه بيت الأعشى « فلو كنت في جب ثمانين قامة ... » صحف « جباً » الى حب فقال ابو العباس « خرب بيتك هل رأيت حباً قط ثمانين قامة ؟! إنما هو جب [4] أما إبدال الشاميين الواو من هاء الغائب كأن يقولوا « بيتو » مكان « بيته » فقد وجدته في كلام اهل القرن السادس للهجرة ، قال ابن خلكان في ترجمة العلامة ابي محمد عبد الله بن بري اللغوي النحوي « ويحكى أنه كانت فيه غفلة ولا يتكلف

(١) المقريزي في السلوك لمعرفة دول الملوك « ج ٢ ص ١٣٠ » طبعة لجنة التأليف وهي الأولى
(٢) ابن حجر العسقلاني في الدرر الكامنة « ج ٣ ص ٢٠٦ » (٣) تاريخ بغداد « ج ٣ ص ٣٣٩ »
(٤) ياقوت الحموي في « معجم الأدباء ج ٢ ص ١٦٥ »

في كلامه ولا يتقيد بالاعراب بل يسترسل في حديثه كيفما اتفق حتى قال يوماً لبعض تلامذته ممن يشتغل عليه بالنحو : اشتر لي قليل هندباء بعروقو . فقال له التلميذ : هندباء بعروقو ؟! فعز عليه كلامه ، وقال له : لا تأخذه إلا بعروقو وإن لم يكن بعروقو فلا تأخذه [١] » .

٧ — وجاء في ص٣ : « يجدر بي هنا السكوت » وليس ذلك بفصيح ولا صحيح ، فالصواب « إني جدير بالسكوت أو بأن أسكت » ، و « يحسن بي السكوت » و « أنا أجدرُ بالسكوت » ولو كان الكاتب شاعراً لقلنا إن هذا من القلب كقول عروة بن الورد :

فديت بنفسه نفسي ومالي وما آلوك إلا ما أطيق

أراد : فديت نفسه بنفسي فقلب المعنى [٢] هكذا قال المرزباني وأنا أقول : بل قلب اللفظ .

يتبع : (بغداد) **الدكتور مصطفى جواد**

هدية الى دار الكتب الظاهرية

أهدى الأمير جعفر الحسني عضو المجمع العلمي العربي الى دار الكتب الظاهرية بدمشق مجموعة من المجلات العربية يبلغ عددها ٢٣٧ مجلة بين مجلد وجزء فله الشكر الجزيل .

القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية

أخذنا في طبع كتاب (القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية) لمؤلفه محمد بن طولون الصالحي المتوفى سنة (٩٥٣ هـ) عن صورة من نسخة وحيدة بخط المؤلف فنرجو ممن يعلم ان هناك نسخة ثانية من هذا الكتاب ان يرشدنا اليها وله منا جزيل الشكر .

دمشق : **محمد أحمد دهمان**

(١) الوفيات « ج ١ ص ٢٩١ » من طبعة المجم   (٢) المرزباني في الموشح « ص ٨٥ »

فهرس الجزء السابع والثامن من المجلد الحادي والعشرين